

محمد علي أسير

ابو طالب

علاق الاسلام الخالد



دار الافتاء

للطباعة والنشر

د. محمد بن الوائظ
DR. MUHAMMAD AL WAZDH
P.O. Box 5525
Abu Dhabi - U.A.E.

أبو طالب عملاق الإسلام الخالد

محمد علي أسبر

٤٨٤٩

أبو طالب عملاق الإسلام الخالد

هدية متواضعة
من السيد
عبدان محمد علي الزعاط
الى مكتبة الروضة النجدية

دار الاصلالة
بيروت - لبنان



أبو طالب شاعر الإسلام

أبو طالب شاعر الإسلام الأول يَزْرَعُ في مسمع الدهر على
امتداد عمر الدهر نشيده الخالد:

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ من خير أديانِ البريةِ دينا
وَيَشْهَدُ لابنِ أخيه مُحَمَّدٍ بالنبوةِ المقدَّسةِ فيقول له:

أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ قَرَمٌ أَغْرُ مُسَوِّدٌ
مَا زِلْتَ تَنْطِقُ بِالصَّوَابِ، وَأَنْتَ طِفْلٌ أَمْرُدُ

وَيُشْهَدُ اللَّهُ - يُشْهَدُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ عَلَى اعْتِنَاقِهِ دِينَ الْإِسْلَامِ
وإيمانه العميق الصادق بنبوة محمد /ص/ فيقول معتزاً بأنوار
الهدى المتوهجة في قلبه:

يا شاهدَ اللَّهِ عَلِيَّ فاشْهَدْ أَنِّي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ أَحْمَدِ
مَنْ ضَلَّ بِالدينِ فإني مُهْتَدِي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م



أبو طالب بن عبد المطلب
عمُّ رسول الله ﷺ
وعملاق الإسلام الخالد

* * *

قال رسول الله: «ما نالت قريشُ مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب».

«متفق عليه»

* * *

«يا أبا طالب! فذتكَ السجايا
من مُجبرٍ، سَمَحِ الجنانَ نَصُورِ
يُؤثِرُ الطُّفْلَ بالطَّعامِ سَخِيًّا
وبدِفءِهِ من الفِراشِ الوَثِيرِ»
«بولس سلامة: ملحمة الغدير» ١٩٦١

* * *

«أبو طالب، عمُّ النبي، وكافلُهُ، ومُرَبِّيهِ، وناصرُهُ، كانَ من
أبطالِ بني هاشم، ومن الخطباءِ، العقلاءِ، الأباةِ».
«خير الدين الزركلي: الأعلام - المجلد الرابع»

* * *

«حامِي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمُعِينُهُ، وَمُجِبُهُ أَشَدُّ حُبِّ،
وَكفِيلُهُ، وَمُرَبِّيهِ، وَالْمُقَرَّبُ بِبُيُوتِهِ، وَالْمَعْتَرَفُ بِرِسَالَتِهِ،
وَالْمُنْتَشِدُ فِي مَنَاقِبِهِ آيَاتًا كَثِيرَةً، شَيْخُ قَرِيشٍ، أَبُو طَالِبٍ».

(الجاحظ: العلامة الشيخ سليمان القندوزي - الحنفي
المذهب)

بناييع المودة: الجزء الأول - (الباب الثاني
والخمسون)

أبو طالب بن عبد المطلب

٨٥ - ٣ ق. هـ.

٥٤٠ - ٦٢٠ م.

نسبه:

أبو طالب، واسمه «عبد مناف»^(١)، والده، عبد المطلب بن
هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمه: فاطمة بنت عمرو بن عايد،
بن عمران، من مخزوم، وهي أم عبد الله والد رسول الله، فأبو
طالب وعبد الله أخوان لأب وأم واحدة...

ولادته - نشأته:

ولد أبو طالب في مكة المكرمة، في بيت تُعطره أنفاس
الفضائل، ذلك البيت الطيب الذكر، هو بيت والده عبد المطلب
الذي قَدَّمَهُ التاريخ إلى الأجيال المتلاحقة رباناً موحداً، وخُلُقاً
سَمِحاً، وَسَخَاءً سَكْباً، وَذَكَاءً عبقرياً، وَحِكْمَةً وَشِجَاعَةً، وَدَعْوَةً
مستجابة...

في هذا البيت المُمَجَّدِ نَبَتَ أبو طالب، وفي ذلك المناخ
اللاهوتي - الكريم شَبَّ وَتَرَعَّرَعَ... حتى استقام المِعْيَا انصهرت
في ذاته كل شمائل أبيه، فهو مَوْحِدٌ مَنبِتاً، وهو مَوْحِدٌ جَوْهراً، وله

(١) وقيل: عمران، وقيل اسمه كنيته، والأول أصح لقول عبد المطلب: أوصيك يا
عبد مناف بعدي بواجد بعد أبيه فرد.

في ميادين الحكمة جولاتٌ زاكيات... (١)

زوجته - أولاده:

زوجته فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهي أول هاشمية وُلدت لهاشمي، وقد أنجب منها: طالباً، وعقبلاً، وجعفرأ، وعلياً^(٢)، وأم هانيء، واسمها هند، وجمانة، وزبيطة، وزاد بعضهم: أسماء^(٣).

صفاته: مكانته الاجتماعية:

يقول صاحب الاحتجاج: «كان أبو طالب وسيماً، جسيماً، عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء وكانت قريش تسميه الشيخ، وكانوا يهابونه ويخافون سطوته»^(٤)، وكانوا يسمونه «بيضة البلد، ويلقبونه بشيخ الأبطح...».

وبعد وفاة أبيه احتل مكان الصدارة في قريش، يقول منجد الاسماء: «كان كبير بيوتات قريش»^(٥)، وقد عهد إليه والده بسقاية الحاج...

وكان شجاعاً فذاً، وشاعراً نابهاً متوقفاً بالإحساس، وقَفَ شعره (١) قيل لآكثم بن صفي: ممن تعلمت: الحكم، والرياسة، والحلم، والسياسة؟؟ فقال: من حليف الحلم والأدب، وسيد العجم والمغرب، أبي طالب بن عبد المطلب.

(انظر: مجلة نهج الإسلام: عدد (٢٢)، صفحة ٩٦/٩٦/ تشرين ثاني ١٩٨٥ إصدار وزارة أوقاف دمشق).

(٢) كان بين ولادة كل واحد وآخر من أولاد أبي طالب المذكور عشرة أعوام.

(٣) ذكر المؤرخون له زوجة ثانية اسمها «علة» وُلد له منها «طليق»

(٤) أبو منصور الطبرسي: الاحتجاج - الجزء الثاني، صفحة ٣٤٢/٣٤٢ مؤسسة النعمان - لبنان، بيروت.

(٥) راجع المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق - بيروت.

على تأييد الرسالة الإلهية - المحمدية، والدفاع عنها: والدعوة لاعتناق مبادئها...

ويقول الدينوري: «وكان أبو طالب يبيع العطر، وربما باع البر» وفي الأعلام النفيسة: «وربما باع اللبن»^(١).

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي: «فأما أبو طالب بن عبد المطلب، واسمه عبد مناف، وهو كافل رسول الله، وحاميه من قريش، وناصره، والرفيقُ به، الشفيقُ عليه، ووصيُّ عبد المطلب فيه، فكان سيد بني هاشم في زمانه، ولم يكن أحدٌ يسود في الجاهلية بلا مالٍ إلا أبو طالب».

«وأبو طالب أولُ مَنْ سَنَّ القَسَامَةَ»^(٢) في الجاهلية، في دم عمر بن علقمة، أثبتتها السنة في الإسلام، وكانت السقاية في الجاهلية بيد أبي طالب، فسلمها لأخيه العباس، وكان أبو طالب شاعراً مجيداً^(٣).
مآثر أبي طالب:

كانت حياة أبي طالب كفاحاً جاداً، لم تخبُ ناره منذ صدغ ابن أخيه محمد برسالته، وكان كفاحه الدائب من أجل تثبيت أركان الرسالة الرحمانية...

وإذا كان جدُّه الثالث قصي بن كلاب نَقَمَ المجتمع المكي، وجمع شملَ قريش حتى سُمِّيَ «مُجَمَّعاً».

(١) الدينوري: المعارف، ط - ٢ - ١٩٧٠، وراجع الثعالبي: لطائف المعارف ص ١٢٧/ ط، مصر.

(٢) القسامة: يقال: حكم القاضي بالقسامة: أي بالآيمان، والمراد أن الآيمان (جمع يمين) تقسم على أولياء القتل إذا ادعوا الدم.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح النهج، المجلد الثالث المذكور، صفحة ٦٨٨/.

وإذا كان جده الثاني هاشم أبدع الإيلاف، وسنُّ رحلتي:
الشتاء والصيف، وبَسَط لواء الرخاء والعدالة الاجتماعية فوق
الناس...

وإذا كان والده عبد المطلب حمى قريشاً من الهلاك، وسَمَك
لها صرحاً ممرداً من المجد... واشتهر بالكرم حتى سمي
«مطعم الطير» فإن أبا طالب قاد معركة عداء شرس كافر مع
أساطين مشركي قريش من أجل وحي الله الذي أنزله على رسوله
محمد صلى الله عليه وآله لتطهير الأرض من مفاصد الكفر والشرك،
وإنقاذ الإنسان من جحيم: الطبقة... والتعاسة... والحرمان...
لقد مَنَّ اللهُ على أبي طالب، فأضاء قلبه بنور الإسلام، وقد
ظهر إيمانه الوضيء، وعقيدته الصافية في شعره المُنْتَفَق عليه وفي
سلوكه الشخصي، والاجتماعي مع قريش الكافرة... ومع
الخاصة من أهل بيته^(١).

(١) نَذَرَ من كتب سيرة رسول الله، أو كتب عن تاريخ الإسلام إلا وذكر شعر أبي
طالب المعطر بالإيمان... والداعي إلى الاعتراف بنبوته محمد... والمبرهن أن
الله أرسله لهداية الناس... كما أرسل عيسى... وموسى... وإبراهيم... فشعره
هذا متفق عليه من الجميع، بل إن علماء محققين نهضوا لدراسة شعره البالغ
ثلاثة آلاف بيت، فتبين لهم أنه كله لأبي طالب، وقد كشف التحقيق العلمي
أن هنالك مَنْ أدخل في شعر أبي طالب ما ليس منه بقية الإساءة إلى سمعته
وإرضاء نزوات «السلطان» أو الشيطان... أو كلاهما معاً...
يقول مفتي الشافعية بمكة السيد أحمد زيني دحلان في كتاب أسنى المطالب
الصفحة الرابعة عشرة: من ذلك البيت التالي:

لسولا الملامة أو حذاري شئة
لوجدتني نوحاً بذاك مُبيناً
قال أحمد زيني دحلان:

إن هذا البيت موضوع أدخلوه في شعر أبي طالب وليس منه اهـ.

وإن حماية أبي طالب لمحمد نبي الهدى من حراب «قريش
البغي» وسيوفها، قَدَّمت للبشرية كلها تطوراً حضارياً- مادياً
وروحياً- باهراً...

ولا نغالي إذا قلنا: إن فضل أبي طالب في ذلك التطور ممتزج
بأفضال ابن أخيه صاحب الرسالة الربانية...

وسنرى في هذه الدراسة حبه العميق الذي لا حدود له
لمحمد، وإخلاصه التزيه لدين محمد، والبلاء المحطم الذي
اختار أن يتجرع عصيره الحميم في سبيل الرسالة المحمدية من
خلاله جهاده العنيف الصابر... وشعره النائر...
الرسول في كفالة عمه أبي طالب:

كان عبد المطلب يرى الخصال الرفيعة التي اختمرت بها
نفس ولده أبي طالب تزداد غنى يوماً بعد يوم...

= ويقول القسطلاني في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري الجزء الثاني،
صفحة /٢٢٧/ عن قصيدة أبي طالب اللامية التي منها:

كَذَّبْتُمْ، وَنَبَيْتَ اللهُ نَبِيَّ مُخْمِداً
وَلَمَّا نَطَاعِنُ دُونَهُ وَنَقَاتِلُ
لَعَمْرِي، لَقَدْ كَلَفْتُ وَجداً بِأَحْمَدِ
وَأَحْيَيْتُهُ حُبَّ الْحَبِيبِ الْمَوَاضِلِ
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ
وَأَظْهَرَ دِيناً، حَقُّهُ غَيْرَ بَاطِلِ

يقول القسطلاني: «إنها قصيدة جليلة بليغة من بحر الضويل، وعدة أبياتها مئة
وعشرة أبيات، قالها لَمَّا نَمَلَات قريش على النبي، ونفروا عنه من يريد
الإسلام اهـ.

إلى هذا المستوى الدقيق بلغ اهتمام العناية بدراسة وتمجيس شعر أبي
طالب الذي هو مرآة نفسه الكريمة.

إنه يرى شخصيته الفاضلة تتجلى فيه ومُضَةً... ومضة...

وإنه لذلك مغتبط الفؤاد...

ويبدو له شأن كريم، يتركه سرا بينه وبين نفسه...

ذلك السر هو: أن يضع محمداً في كفالة عمه أبي طالب حين يرحل عن هذه الدنيا...

ويمر عامان على محمد، بعد وفاة أمه، وهو في كفالة جده الرحيم...

ثم ينزل مرضٌ بهذا الجد العظيم، يرى معه أنه مفارق هذا العالم...

فينادي أبا طالب، ويعهد إليه بكفالة محمد الحبيب ذي الشأن العظيم، ويزوده بوصية يقول فيها: «انظر يا أبا طالب، أن تكون لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه ولم يذق شفقة أمه، انظر أن يكون منك بمنزلة كبدك، فإني قد تركت بني كلهم وخصصتك به».

ثم قال: إن استطعت أن تتبّع فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنه، والله سيسودكم، ويملك ما لم يملك أحد من آبائي، وينظر ملياً في وجه أبي طالب، كأنما يُريد أن يعرف أسرار كل خلجة في حنايا نفسه، ويقول له: هل قبلت يا أبا طالب!!!

فقال أبو طالب، وقد أزهرت السكينة في فؤاده: «قد قبلت، والله على ذلك شهيد».

ومد عبد المطلب يده ليضعها في يد ولده أبي طالب، ويشد عليها، ثم يأخذ نفساً عميقاً هادئاً ويقول: الآن خُفَّت عليّ الموت، ويغمض العينين الوديعتين، ويذهب إلى ربه راضياً، مرضياً^(١).

أبو طالب ومحمد:

وينصرف أبو طالب إلى ابن أخيه محمد يصدق عليه كل ما وهبه الله من: رحمة، ومحبة، وعطف، حتى أن محمداً الصغير ابن الأعوام الثمانية لم يشعر أنه فقد شيئاً من رافة وحنو جده.

بل إنه رأى في حنان عمه أفقاً رحباً يواكب نمو مداركه، وخيرات إحساسه الصاعدة، وإذا كان محمد بالنسبة لجده عبد المطلب كالعطر بالنسبة للزهرة، فقد غدا محمد بالنسبة لعمه أبي طالب كالنماء بالنسبة للزهرة^(٢).

إنه ينشئه على عينه، إنه يجعله ينتقل في جنان إبراهيم يتغذى منها ثمار المكرمات^(٣)، فإذا مجتمع قریش يرفع محمداً إلى درجة القداسة، فهو، محمد الصادق.. وهو محمد الأمين.. وإذا هو محمد الحكيم الذي يقضي بالحق الذي يرضي الجميع.. وإذا هم يرون فيه أباه إسماعيل محاسن خلقية لا تفقد، فأخلصوا له حياً، وإجلالاً.

(١) توفي عبد المطلب عن مئة وعشرين عاماً.

(٢) يقول ابن سعد في الطبقات (المجلد الأول، ص ١١٩ / مطبعة صادر- بيروت: «كان أبو طالب لا مال له، وكان يحب محمداً حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرجه معه، وصّب به أبو طالب صبابة لم يصب بشيء مثلها قط، وكان يخصه بالطعام».

(٣) يقول ابن سعد في طبقاته المذكورة، صفحة ١٢١/: «وثنى رسول الله مع أبي طالب يكلؤه ويحفظه، ويحوطه من أمور الجاهلية ومعالجتها».

وَتَمَثَّلُ مُحَمَّدٌ لِتِراثِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، جَعَلَ تَعَلُّقَ عَمِّهِ بِهِ يَتَجَدَّدُ، وَيَتَسَّعُ بِاسْتِمْرَارٍ. وَحَنَّانُ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي يَسْكَبُ عَلَى مُحَمَّدٍ طَرَاوَةَ الْحَيَاةِ، وَأَطْمِئْنَانَهَا جَعَلَهُ شَدِيدَ الْوَلَعِ بِعَمِّهِ، فَهُوَ لَا يَكَادُ يَفَارِقُهُ. . . حَتَّى أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ لَهُ سَبِيلًا لِلذَّهَابِ إِلَى مَكَانٍ مَا، إِلَّا، وَهُوَ رَفِيقٌ لَهُ.

صَحِبَهُ إِلَى حَرْبِ الْفَجَارِ^(١)، وَصَحِبَهُ حِينَ ذَهَبَ يَسْتَسْقِي لِقْرِيشٍ، وَصَحِبَهُ إِلَى «ذِي الْمَجَازِ» وَصَحِبَهُ فِي رِحْلَةٍ تِجَارِيَّةٍ إِلَى دِمَشْقَ، وَفِي كُلِّ رِحْلَةٍ مِنْ تِلْكَ الرِّحْلَاتِ، كَانَ يَنْبِتُ فِي قَلْبِ أَبِي طَالِبٍ بَرَهَانَ جَدِيدَ لِسَانِ مُحَمَّدٍ الْعَظِيمِ. فِي حَرْبِ الْفَجَارِ انْتَصَرَتْ هَوَازِنُ حَلِيفَةِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى كِنَانَةَ بَيْنِ مُحَمَّدٍ. . .

وَحِينَما اسْتَسْقَى أَبُو طَالِبٍ لِقَوْمِهِ دَاعِيًا رَبَّهُ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمْ اغْبِرَارَ الْقَحْطِ، بَسَطَ مُحَمَّدٌ كَفِيهِ، وَدَعَا مَعَ عَمِّهِ، فَإِذَا الْغَيْثُ يَنْهَمِرُ مِنَ السَّمَاءِ وَافِيًا، كَافِيًا.

وَفِي طَرِيقِ رِحْلَتِهِ إِلَى ذِي الْمَجَازِ، عَطَشَ أَبُو طَالِبٍ حَتَّى كَادَتْ حَرَارَةُ الْعَطَشِ تَلْتَهُمْ كَبْدَهُ، فَتَمَلَّمَلِ، وَأَعْلَمَ ابْنَ أُخِيهِ مُحَمَّدَ، فَعَمِدَ مُحَمَّدٌ يَدَهُ إِلَى صَخْرَةٍ فِي الطَّرِيقِ شَامِخَةٍ، فَإِذَا الْمَاءُ يَتَدَفَّقُ مِنْهَا عَذْبًا، فَرَاتًا.

(١) حَرْبُ الْفَجَارِ جَزَتْ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَمَعَهَا قَبِيلَةُ كِنَانَةَ وَبَيْنَ قَيْسِ عَيْلَانَ، وَسَبَبُهَا أَنْ عَرَوْهُ الرِّحَالُ مِنْ هَوَازِنِ أَجَارِ قَافِلَةٍ تِجَارِيَّةٍ لِلنَّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ فَقَالَ لَهُ الْبِرَاضُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ كِنَانَةَ: أَنْجِرْهَا عَلَيَّ كِنَانَةَ؟؟ قَالَ: نَعَمْ، وَعَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِ، فَقَتَلَهُ فِي عَكَاظِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَلِلَّذَلِكَ سُمِّيَ الْفَجَارُ، فَتَشَبَّهَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ، وَهَوَازِنَ، وَقَدْ حَضَرَ الرَّسُولُ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ تِلْكَ الْحَرْبَ، وَكَانَ عَمْرُهُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا.

وَفِي رِحْلَتِهِ إِلَى دِمَشْقَ يَرَى الْغَمَامَةَ تَظَلِّلُ مُحَمَّدًا، وَيَرَى أَحَدَ الرَّهْبَانَ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَى التَّأْمَلِ وَالْعِبَادَةِ، فَيُحَدِّثُهُ عَنْ مُحَمَّدٍ وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ الْمُرْتَقِبِ، وَيُحَذِّرُهُ مَكْرَ الْيَهُودِ وَغَدْرِهِمْ^(١).

كُلُّ دَلَالَةٍ مِنْ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ كَانَتْ تَسْتَقِرُّ نَوْرًا فِي نَفْسِ أَبِي طَالِبٍ، فَتَصْفَوُ، وَتَهْتَلِلُ إِشْرَاقًا. . . وَيَزْدَادُ حِرْصًا عَلَى ابْنِ أُخِيهِ مُحَمَّدٍ وَبِهِ وَلِعًا. . .

وَتَمُرُّ الْأَيَّامُ سَرَاعًا حَتَّى لِكُنَّهَا طَيُورُ الْمَسَاءِ عَائِدَةً إِلَى مَطَارِحِ أَمْنِهَا، وَرَاحَتِهَا. . . فَإِذَا مُحَمَّدٌ مَلَأَ الْعَيْنَ شَبَابًا، مَمْتَلَأًا، وَسِيمًا، وَإِذَا هُوَ مَلَأَ الْقَلْبَ أَخْلَاقًا قَدْسِيَّةً، وَإِذَا هُوَ مَلَأَ النَّفْسَ مَهَابَةً، وَجَلَالًا.

وَفِي خَلْوَةٍ مَفْرُوشَةٍ بِأَطْيَابِ الْهُدُوءِ جَلَسَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى نَفْسِهِ يَقُولُ:

هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ تَجَاوَزَ الْعِشْرِينَ رِبْعًا، وَقَدْ آتَى أَنْ نَبِيًّا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَنِ الزَّوْجَةِ الْفَاضِلَةِ، لِيَرْفَعَ بَيْتًا، وَيَنْجِبَ أَوْلَادًا. . . وَكَأَنِّي بِهِ يَرُدُّ عَلَيَّ نَفْسَهُ قَائِلًا: وَمَنْ هَذِهِ الَّتِي تَلِيْقُ بِمُحَمَّدِ الصَّادِقِ، الْأَمِينِ، زَيْنِ

(١) قَالَ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ الْكَبِيرِ، وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي ذَلِكَ مِنَ الشُّعْرِ يَذْكُرُ مَسِيرَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَا قَالَ لَهُ الرَّاهِبُ بَحِيرًا، وَمَسِيرًا لِقَوْمٍ مَعَهُ مِنْ تِجَارِ قُرَيْشٍ. . .

إِنَّ ابْنَ أَمْنَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا عِنْدِي بِمِثْلِ مَنْزِلِ الْأَوْلَادِ حَتَّى إِذَا مَا الْقَوْمُ بُصِرِي عَيْنِي لَاقُوا عَلَيَّ شَرِكًا مِنَ الْمَرْصَادِ حَبِيرًا، فَأَخْبَرَهُمْ حَدِيثًا صَادِقًا عَنْهُ وَرَدَّ مَعَاشِرَ الْحَسَادِ. . . (الفصيدة)

وَذَكَرَ لَهُ قَصِيدَةً ثَانِيَةً فِي ذَلِكَ يَذْكُرُ تَظْلِيلَ الْغَمَامِ لَهُ وَقَوْلَ الرَّاهِبِ (رَاجِعِ،

ج - ١ - ص - ٦٢٧٢ - طَبْعَةٌ ثَانِيَةٌ).

الفتوة، وربيح الشباب؟؟ أجل، من؟؟.

وأخذ يستعرض في ذهنه أسر مكة، وفتيات مكة، وتعب من الاستعراض ولما يَنْتَه إلى أمر حاسم، فحبس في وجدانه ذلك المخاطر إلى مناسبة ثانية. . وراح يزاول أعماله اليومية.

وبين اليوم، واليوم، كان يستيقظ المخاطر الحبيس في ذاكرة أبي طالب فيستأنه، ريثما يهتدي إلى الأنسة التي تليق بمحمد صاحب الشأن العظيم.

محمد في رحلة تجارية:

وذات يوم جاءه ابن أخيه محمد يقول له: إن خديجة بنت خويلد أرسلت إليه تطلب منه أن يرأس لها رحلة تجارية إلى دمشق. .

ويتسم العم الرفيق، ويقول بتحبب يذوب لطفاً: هذا الذي تحدثنا به معاً ليلة أمس، ثم يتوجه إليه بالخطاب قائلاً: والآن ما رأي محمد الحبيب؟؟.

فيوافق محمد على الرحلة، ويوافق العم راضياً أن يتفرد محمد بالعمل بعيداً عنه، فقد أصبح مكتمل الرجولة، بل إنه المثل الأعلى للرجولة، ولا خوف عليه من اليهود، لأن قافلة خديجة ستضم ثلاثمائة رجل، يكون هو السيد المطاع فيهم. . وما كان أشد سرور خديجة حين وافق محمد وعمه على الرحلة وشفعت سرورها بأن سلمته قيادة الرحلة الجاهزة للسفر فوراً.

وكان صباح، وكان مساء، وإذا محمد يعود من الرحلة سالماً، غانماً.

وبعدما مضى إلى دار عمه أبي طالب، دعت خديجة وكيلها ميسرة الذي كان مرافقاً لمحمد، وسألته على انفراد: كيف رأيت محمداً؟؟ أخبرني لا تغادر صغيرة، ولا كبيرة.

فماذا أخبرها؟؟

قال لها: وعن أي خلق في محمد بن عبد الله أحدثك يا سيدتي؟.

عن أمانته؟؟ عن صدقه؟؟ عن نبهه؟؟ عن تسامحه؟؟ عن بركاته؟؟

إن محمداً كل هذه الصفات مجتمعة، وكل من في مكة يعرف ذلك. . ولكن. . وَصَمَّت الرجل يأخذ نفساً قصيراً وخيّل إلى خديجة، أن وراء كلمة «لكن» عيباً بمحمد يستحي أن يحدثها عنه، فدفعته إلى الكلام قائله: إيه. . قال: لقد رأيت أمراً عجباً، كانت غمامة تتبعه، وتظلل من حمارة القيظ، ورأيت راهباً اسمه «نسطور» يأتيني بعدما رأى ملازمة الغمامة له ويسألني - ولم ير محمداً عن قرب -: هل في عيني هذا الشاب حمرة؟.

قلت له: نعم، إنها لا تفارقه.

فقال: إنه نبي هذه الأمة.

* * *

زواج الرسول من خديجة:

كانت خديجة تصغي إلى حديث ميسرة، وكأنها في فردوس من الأحلام الناعمة، العذبة.

قالت متعجبة: غمامة تسير بمسيره، وتقف حين ينزل للراحة لتلقي عليه ظلها البارد!! ونبي هذه الأمة?? أصدقاُ قلت يا ميسرة??!!

قال: نعم يا سيدتي، ما قلت إلا ما رأيت، وما سمعت، فصرفته قائلة: عليك أن تتعهد جمال القافلة وبعد ذهابه، انفلت منها هذا السؤال الذي وجهته إلى نفسها، قالت: لماذا أهتم بمحمد بن عبد الله كل هذا الاهتمام??

هل هو دافع حب الاستطلاع?? أم هو دافع الإعجاب?? واخذت تستقرىء نفسها، فإذا هي تكتشف سراً.. إذا هي ترى أنها تحب محمداً حباً تجاوزت بذرته مراحل نموها الأولى.

هل لامت نفسها على هذا الحب?? هل رأت نفسها غير كفاء لمحمد كونها أرملة، ولها أولاد??

قالت تحدثت نفسها: إني ما زلت شابة، وليس في قریش من هي أنضر مني جمالاً، وإني من بيت عريق في شرف الأصالة وإني أحب الخير للناس، وإني أطعم الجياع، وأساعد الفقراء والمساكين، ولا أبتغي لأحد سوءاً.. وإني غنية، فما يمنعني أن أطمع بمحمد??

إذا فهي ترى نفسها كفوواً لمحمد، وفجأة برز من مخابىء

ذاكرتها سر دفين، لقد قال لها أحد الكهنة منذ حين من الزمن سيكون لك شأن مع نبي عظيم..

وراحت تخاطب ذاتها قائلة: هل يكون محمد ذلك النبي العظيم??

وما هو ذلك الشأن??

هل يصبح محمداً زوجاً لها فتتحقق نبوءة الكاهن، وينعقد على مفرقها تاج سعادة خالدة، ورائعة?? أم ماذا??

وانثنت إلى محمد تستعرض في ذاكرتها شريطاً مصوراً لحياته المعنوية، قبل ولادته، وحين ولادته، كلمات جده الراحل عبد المطلب عنه، أقوال الرهبان، والكهنة، والعرافين.. أخلاقه.. تظليل الغمام له.. انتزعت كل هذه الصور من ذاكرتها ووضعتها أمام عقلها، وطفقت قلبها واحدة، واحدة، ثم همست تقول: هل يكذب كل هؤلاء?? لقد تكلموا، وكل واحد منهم بعيد عن الآخر، ولم يكذبون على محمد بن عبد الله دون سواه?? لا، ليس في الأمر كذب، بل هو القول الفصل، وما هو بالهزل، وإنه لصاحب الشأن العظيم كما أخبرها الكاهن، وكما وصفه جده، وأنه هو نفسه سيكون لها معه الشأن العظيم.. هكذا حكم عقل خديجة الواعي، وعلى هذا الأساس الواضح أضمرت فكرة تكشف لها أوراق حياتها القادمة المختومة بخاتم الغيب.

ماذا عزمت خديجة أن تفعل??

ها هي تنادي جارية لها، تأنس بها، وتثق بتدبيرها، فتسر إليها

بضع كلمات.. وتمضي الجارية نفيسة إلى محمد بن عبد الله
نوشوش إليه بتلك الكلمات.. ثم تعود منه بجواب جعل لحظيها
بتالفان ببهجة الفرح الرزين. وتدخل نفيسة على سيدتها اللهيفة
إلى عودتها، وتنظر خديجة الذكية في وجه الجارية، فإذا هي ترى
أمانها الغاليات تتلألأ في عينيها وتقول لها: لقد أصبح الحلم
حقيقة يا خديجة!!...

قالت لها: وافق يا سيدتي على أن تحظى موافقة برضى عمه
أبي طالب.

فانقبضت خديجة من جديد وقالت: هل يعارض العم
الجليل؟ ولكن العم الجليل وافق، لقد ذهب إليه ابن أخيه
محمد، فإذا هو يراه شارد الفكر.. حتى لكأنه يستجلي أبعاد
الزمن.. كان باله مشغولاً بمحمد - بزواجه، وبينما هو يفكر،
ويمحص وجوه الرأي، طلع عليه وجه خديجة بنت خويلد فقال:
ما يمنع أن تكون هذه زوجة لمحمد؟

شرف، وعقل، وقلب كبير، وغنى نفسي ومادي، وتقف
مناقشات أبي طالب للأمر هنا، لأنه سمع حركة أقدام تتجه
نحوه، فنظر، فإذا الحبيب محمد مقبل، وفي وجهه ابتسامة
حلوة، يانعة.

قال له عمه: أرى في وجهك بشرى مثناس، فهات يابن
أخي!! ما عندك??

ويحدثه محمد عن خديجة، فإذا هو يقول: ذلك ما كنا نبغي،

وأخبره بما كان يعتمل في نفسه حول هذا الموضوع.

* * *

محمد يخطب خديجة:

ويتحدد يوم الخطوبة، ويحضر أبو طالب على رأس الهاشميين
في دار خديجة، ويحضر من قريش من حضر، ويقوم أبو طالب
شيخ البطحاء، يخطب خديجة فيقول:

خطبة أبي طالب:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وضئضىء معد،
وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً
محجوجاً، وحرماً آمناً. وجعلنا حكام الناس.. ثم إن ابن أخي
محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به شرفاً، ونبلاً،
وفضلاً، وعقلاً، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة
بنت خويلد وبذل ما آجله كذا.. وعاجله كذا.. مهراً لها،
وهو، والله، بعد هذا، له نأ عظيم، وخطر جليل، جسيم..

ويتم زواج محمد من خديجة، وينتقل من دار عمه إلى بيت
الزوجية الجديد، بعد أن عاش سبعة عشر عاماً في كنف عمه،
البر، الرحيم^(١).

سبعة عشر عاماً إلا قليلاً منها، كان أبو طالب يفتح عينه كل

(١) تزوج الرسول خديجة وعمره خمسة وعشرون عاماً وقد ولدت له قبل البعثة:
القاسم، ورقية، وزينب، وأم كلثوم، وبعد البعثة: عبد الله، والطاهر، وفاطمة
(كتاب محمد عند علماء الغرب).

صباح على وجه محمد، ويسلمهما مساء إلى نوم هانيء سعيد،
بعدما تنعمان بمراى محمد.

سبعة عشر عاماً، كان محمد أثناءها في روح أبي طالب
بسمات جمال روحاني، أما في قلبه فقد كان مروجاً خضراً
ينساب فيها جداول الصفاء.

سبعة عشر عاماً كانت فيها فاطمة بنت أسد، زوج أبي طالب،
والدة علي أما لمحمد تدفء قلبه بنور حنانها، وتغسل عواطفه
بعبير حبها المبارك، ومحمد كان يحس ذلك من عمه أبي طالب،
وكان يحسه أيضاً من فاطمة بنت أسد، كان يرى نفسه عندهما،
صورة وضيئة، مقدسة، تملأ القلبين الأقدسين..

كان يرى فيهما الإنسانين اللذين يروحان حياته بالبسمة
الراضية، والإشراق الحانية، والآن، وقد تزوج محمد وترك دار
عمه إلى دار خديجة، فكيف يكون شأنه؟؟ وكيف يكون حال أبي
طالب؟؟ وكيف يكون حال فاطمة بنت أسد؟؟

لا ريب أن ذلك الفراق.. وإن كان صباحاً زاهياً أفاض على
الجميع ضياء الرجاء الحميد - لا ريب أنه لامس عواطف القوم
بأصابع ألم قاس، ولكن حرصهم على هناء محمد شرع يمسح
وخزات الألم شيئاً، فشيئاً، وهذه الفرقة لم تكن لتمنع القلوب من
المحافظة على الحب الأمين، الرصين، ذلك لأن الحب الذي
استمد غذاءه من تربة الإيمان بالله.. الحب الذي شرب ماءه من
كوثر الإخلاص، هذا الحب لا يضمحل، بل يظل حياً لأنه حب
مرتكز على مبدأ، وعقيدة.. إنه حب أرواح منزّه عن تفاهات
المادة ومصالحها.. ذلك الحب التقي ربط بين بيت أبي طالب،

وبيت محمد كما يرتبط المعنى بالكلمة، لذا لم يمر طويل من
الزمن حتى أخذ محمد ابن عمه علياً إلى بيته لينشأ فيه،
ويتعرع، كما نشأ هو في بيت عمه.

* * *

علي ومحمد:

كان محمد يتعهد علياً منذ ولادته، كان يهز له السرير، كان
يحملة بين يديه، ويلصقه بصدره، كان يناغيه، كان يداعبه، كل
ذلك قبل أن يجيء إلى بيته، ويضمه إلى أسرته، واليوم جلبه إلى
بيته يزره الطعام، ينيمه في فراشه^(١)، ينشئه غنى خلقياً، وقلباً،
دماؤه محاسن الفضائل.

يربيه قرّة عينه. فكما كان يضع اللقمة في فمه ليشتد جسده
وينمو، كان يغذيه بشمائله جرعة جرعة كما يسقي البستاني الوردة
علا، علا.. فإذا هو يشب معنى من معانيه، وروحاً من
أخلاقه.. إذا هو قمر يدرج في منازل الكمال حتى يغدو علي بن
أبي طالب بدر الهدى الذي لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا
منافق^(٢).. إذا هو علي الذي يراه الرسول في المباهلة توأم

(١) يتحدث عليٌّ عن ذلك في خطبته القاصمة فيقول: «وقد علمتم موضعي من
رسول الله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد
يضميني إلى صدره، ويكفني إلى فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرقه وكان
يمضغ الشيء ثم يلغمنيه.. ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه.. أرى نور
الرسالة، وأشم ريح النبوة» (نهج البلاغة: الجزء الثاني، ص ١٥٧، الشيخ
محمد عبده، مطبعة كرم - دمشق).

(٢) قال رسول الله -ص- لعلي: «يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا
منافق» (متفق عليه).

نفسه . . إذا هو علي الذي توجه الرسول خليفة له في بدء دعوته الإلهية حتى قال أمام عشيرته الأقربين، هذا أخي، ووصي، وخليفتي من بعدي . . وتوجه في ختام دعوته خليفة له أمام مئة ألف من الحجاج ويزيدون حين قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم، وال من والاه، وعاد من عاداه، وأدر الحق معه حيث دار.

وكانت خديجة من علي حناناً صافياً، وحباً نقياً، كما كانت فاطمة بنت أسد من محمد، وبق فرع علي في ظلال الروحين الأطهرين: محمد وخديجة، حبيباً، مدلاً، منعماً.

الله يختار محمداً رسولاً ونبياً:

وتستمر خطوات العمر في محمد صعوداً . . فإذا هي تنزله في رحاب الأربعين عقلاً بصيراً يكاد يستشف حجب الغيب . . وفؤاداً ذكياً منضراً بالحكمة، وهو في هذه السن . . وهو في جبل ثور حيث كان منعزلاً عن الناس، يتأمل في بدائع ما يرى، وما يسمع، وما يحس، من هذه البسيطة، يأتيه جبريل ويقول له: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق ﴾ .

* * *

محمد وإرهاصات الوحي:

الحقيقة الأزلية أرسلت «جبريل» يخصب قلب محمد بأرج الوحي . . ويعلمه، إن الله اختاره نبياً، ورسولاً للعالمين، ليلفهم رسالة ربه، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

ويذهب محمد إلى خديجة يضعها في إطار النبأ، الباذخ،

المثير . . قص عليها ما حدث، وكان به دهشة، وكان به خوفاً مرعداً.

ترى، هل كان محمد يمتحن أعصاب خديجة أمام وحي السماء، أم هي الفرحة الروحية المفاجئة، لأن الله اجتياه رسولاً؟؟ لقد ريعت خديجة عندما واجهها، باضطرابه، ثم ما لبثت ذاكرتها أن تفتحت عن خطوط مبهمة تحولت إلى أحرف، ثم التأمت كلمات، فإذا هي تقرؤها: إن محمد هو النبي الذي لها معه الشأن العظيم . . فانبجس برد اليقين ملء صدرها، وإذا هي تقول للرسول بكل ما عندها من ثقة واطمئنان: كلا، لن يخذلك الله . . وأنت نبيه . . ولما رأته وداعة الرضى تغمره بظلالها، تركته، ومضت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان متأهلاً، مطلعاً على التوراة والإنجيل . . وأعلمته بما حدث لمحمد . . فماذا قال لها؟.

قال: قدوس، قدوس، والذي نفس ورقة بيده لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة ورجعت خديجة إلى محمد، وهي ترى: أن قلبها قد اتسع للعالم كلها . . ولما وصلت رأته محمداً مزملأً ببرد السكينة . . وما استقر بها المقام حتى شرعت تفيض عليه بشرى ابن عمها ورقة سلسيلاً روحياً، ونعيماً مقيماً، وملكاً كبيراً.

وكما كانت هذه الأحداث الكريمة تمضي أمام سمع خديجة وبصرها، كانت تمر أيضاً تحت سمع علي بن أبي طالب وبصره وكلاهما: خديجة، وعلي بسط يده إلى رسول الله مباعاً، هاتفاً

من اعماقه أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله
وكلاهما وقف معه يؤدي الصلاة، إجلالاً لله، وشكراً له قبل
الناس بأعوام، وأعوام.

وَتَبَاعَ هَبوط الوحي على محمد رسول الله فيقوم بالدعوة سراً،
ثم يجهر بها امتثالاً لقول ربه: ﴿ فاصدع بما تؤمر، وأعرض عن
المشركين ﴾.

* * *

محمد وقريش:

وقفت قريش تسمع ما يأتيها به محمد رسول الله . . وعاد اسم
محمد، مثل يوم ولد يملأ أعطاف كل نسمة تهب في سماء مكة
وتحول اسم محمد إلى علامة تعجب . . ثم إلى علامة
استفهام . . وطفق سكان مكة يقولون: محمد صادق، لم يعرفه
الكذب، محمد طاهر، لم يقارف لوناً من ألوان المنكرات،
محمد أمين زكت به الأمانة، عقل محمد شعلة تنوهج بالحكمة،
فكيف يقول: إنه رسول الله؟؟

هل جن الرجل؟؟ هل هو شاعر؟؟ هل هو كاهن؟؟

كلا، كلا، إن القرآن الذي ينطق به محمد معجز في بلاغته،
عجيب في فصاحته، وليس من سجع الكهان، ولا هو من أقوال
الشعراء.

إذاً، ماذا؟؟

لم يبق إلا أنهم كاذبون فيما يتهمونه به، وإنه رسول الله كما

يقول، وما دام الأمر كذلك، فلم لا نؤمن به نبياً هادياً . . ذلك
كان حديث جماهير الشعب في مكة . . ثم ما عتم العبيد،
والفقراء، والمساكين أن سارعوا إلى الدخول في دين محمد الذي
أرسله الله لتخليصهم، وتخليص الإنسانية من بربرية: الظلم،
والطغيان، والحرمان . .

أما الأرستوقراطيون أصحاب رؤوس الأموال، أما التجار
المرابون . . أما هؤلاء فقد كانوا يعيشون في جو من قلق، غامض
ممزوج بالخوف . .

كانوا يتسقطون أخبار محمد، وما يطلع به على الدنيا من
تشريعات قرآنية، ويجمعونها إلى بعضها.

أوه!! إنها الكارثة الساحقة التي لا تبقي لهم سلطاناً . .
مادياً . . ولا معنوياً . . إنها تحرم عليهم كل متهم: النفسية،
والجسدية . .

إنها تحرم الربا، وتحرم كنز الذهب والفضة، وتحرم استغلال
جهود الضعفاء، وتحرم الزنا، والمضاربات المصرفية، إنها تجعل
للفقراء حقاً معلوماً في أموال الأغنياء . . إنها تجعل الناس
سواسية . . وإنها . . وإنها . .

ها!! لم يبق - بالنسبة لهم - شيء خفي يبحثون عنه.

إن رسالة محمد تقضي على امتيازاتهم، أن دين محمد يأتي
بنيان طبقتهم من القواعد فينصفه نفساً . .

وتداعى اغنياء قريش، والمرابون، والمضاربون، و... و...
الى اجتماع.

قالوا: دين محمد يذهب بوجاهتنا، ويجعل من عبيدنا أنداداً
لنا، ويبدد ثرواتنا... وقالوا... وقالوا...

ثم خرجوا من اجتماعهم يعلنون معارضة دين محمد...
ورصدوا لهذه المعارضة كل ما يملكونه من طاقات جبارة... ولم
يروا حجة تدعم قواهم الذاتية إلا إظهار التمسك بآلهتهم
الحجرية... وعاداتهم الجاهلية، فاتخذوا منها وسيلة لمحاربة
تعاليم محمد... وهم إنما يريدون حماية امتيازاتهم، ومكاسبهم
الطبقية من العدل الاجتماعي الذي تفرضه ثورة محمد بن
عبدالله... صرخوا هادرين: أيشتم محمد آلهتنا؟؟ أيسفهننا لأننا
نعبدها؟؟ أيريدنا أن نرفض عادات الآباء والأجداد؟؟ إن هذا لن
يكون... لن يكون...

وأخذوا يحرقون المؤمنين بنار عداوتهم كلما استطاعوا إلى
ذلك سبيلاً.

وكان عبيدهم المؤمنون أشد الناس اضطراباً في جحيم
كيدهم... لقد مدوا إليهم الشياطين تمزق جلودهم... ومدوا إليهم
أسنة الحراب توسعهم تنكيلاً، وتفريهم بلسانها نعاجاً... ولجوا
في البطش، والهمجية، ولكنهم ذهلوا... كادوا يجنون لما رأوا
سلوكهم الفرعوني، الحاقد، يزيد عبيدهم المؤمنين بنبوة محمد
بصيرة... إنهم يجعلون من كلمة: أحد، أحد، جنة لهم من
جحيم العذاب، فإذا هم، وكأنما لم يمسه عذاب.

ويجتمعون من جديد يتدارسون شؤونهم.

رأوا دين محمد يمتد امتداد الظلال عند الغروب... أحسوا
نهايتهم تقترب... لقد أصبحوا منها على خطوات.

فماذا يفعلون؟؟

هل يفتالون محمداً؟؟

ولكنهم إذا اغتالوا محمداً نشبت بينهم حرب أهلية يقودها
ضدهم أبو طالب ووراءه سيوف بني هاشم ومن يواليهم وفي ذلك
خطر ذابح على قريش كلها.

وأخيراً، استراحوا إلى فكرة جديدة.

قريش وأبو طالب:

قالوا: لماذا لا نضع ثقل متاعنا على أبي طالب، كافل محمد
وسيد الهاشميين؟؟

واستحسن الجميع الفكرة... وبعد دقائق معدودات، كان وقد
منهم عند أبي طالب يقول له:

يا أبا طالب!! إن ابن أخيك سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه
أحلامنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا، وبينه.

وأجمل لهم أبو طالب في الرد، وقال: سأنظر في هذا الأمر...
فتركوه راضين، ومكثوا يرتقبون...

ومضت أيام، فأشهر... ولم يطرأ على مسلك محمد تغيير...

دعوته ماضية في طريقها قدماً رغم جبال العوائق التي يقيمونها في سبيل الدعوة.. فتنادوا إلى اجتماع جديد، وقالوا: ما فعل أبو طالب شيئاً، ونحن أصبحنا على قمة الانحدار إلى الهاوية.. فقال أحدهم: وما يدريكم أن أبا طالب ليس على دين ابن أخيه محمد؟؟

أما سمعتم ما جرى بينه وبين ابنه علي ربيب محمد؟؟ قالوا: ما سمعنا بهذا، فهات ما عندك.

قال: رأى أبو طالب علياً يصلي مع محمد في مكان مهجور، فسأله: ما هذا يا علي؟؟!! فقال له علي: يا أبت!! آمنت بالله، وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه، واتبعته..

فقال بعضهم بغضب: وماذا قال له أبو طالب؟؟ قال الرجل: لقد أجاب أبو طالب ابنه علياً، فقال له: أما أنه لا يدعوك إلا إلى خير، فالزمه.

وسرت همهمة بين القوم: يبارك عمل ابنه علي، ويؤكد له أن محمداً لا يدعوه إلا إلى خير؟؟ ما هذا؟؟

فقال الرجل: رويداً، إن القصة لم تنته، فأصغوا.

فصمتوا يتلهفون لسماع بقية القصة..

فقال لهم: لقد مجد أبو طالب عمل ابنه بالبيت التالي:

إن الوثيقة، في لزوم محمد

فاشدد بصحبته، علي، يديكا

قالوا: هذا منكر.. لا نحتمله من أبي طالب. فقال لهم الرجل: على رسلكم. قالوا: هل من مزيد؟؟ قال: نعم.

واندفع يقول: وفي مرة ثانية، رأى أبو طالب محمداً وعلياً يصليان، ولا ثالث معهما، وكان معه ابنه جعفر، فقال لجعفر: يا جعفر!! صل جناح ابن عمك، فصل عن يساره ثم هب ينشد:

إنَّ عليًّا، وجعفرًا ثقتي

عند مُلم الخطوب والنوب

لا تخذلا، وانصرا، ابن عمكما

أخي، لأمي، من بينهم، وأبي

والله، لا أخذل النبي، ولا

يخذله من بني ذو حسب^(١)

فهل أنتم سامعون يا سادة قريش؟؟!!

إن أبا طالب يعترف بنبوة محمد، ويقسم أن لا يترك نصرته على نشر الدين، وهو يُلزم ولديه بالصلاة معه، ويحضهم على نصرته، بل إنه يتبرأ منهم إذا لم ينصروه، تذكروا قوله:

والله، لا أخذل النبي، ولا

يخذله من بني ذو حسب

(١) أجرى أبو جعفر الإسكافي شيخ المعتزلة مقارنة بين أبي طالب وأبي بكر فقال وتذكر الرواية أن جعفرًا أسلم منذ ذلك اليوم لأن آياه أمره بذلك وأطاع أمره، وأبو بكر لم يقدر على إدخال ابنه عبد الرحمن في الإسلام حتى أقام على كفره بمكة ثلاث عشرة سنة، وخرج يوم أحد في عسكر المشركين ينادي: أنا عبد الرحمن بن عتيق هل من مبارز، ثم مكث على كفره حتى أسلم عام =

فماذا أنتم راجون، بعد هذا، من الذهاب إلى أبي طالب؟؟
قالوا: إن ذلك، هو النار التي لا نستطيع عليها صبراً..
وارتفعت الأصوات من كل جانب مستنكرة عمل أبي طالب،
وتفجرت قذائف التهديد بالموت من كل جانب.
وبعدما خمدت نار الغضب التي اشتعلت في الأعصاب، قال
أولو التجربة منهم:

تعالوا نبحث الأمر بهدوء لا يخنقه دخان الغضب، والصخب
إننا إذا اتخذنا من السيف حكماً بيننا وبين الهاشميين، لا نأمن أن
تكون الدائرة علينا، فترثوا، وتعالوا نبحت الأمر، وناقشه بأفكار
مطمئنة..
قال الثائرون: هاتوا نستمع..

قال قائل منهم: إن أبا طالب ما زال يزعم أنه على ديننا، وما
دام هو يصرح بذلك، فلنذهب إليه، ونحاوره في أمر ابن أخيه
محمد ثانية، ونسمع جوابه، ومن جوابه نعلم برهانا على رسم
خطة للعمل في المستقبل.
وبعد تردد. وافق الجميع..

ومضى وفد منهم إلى أبي طالب، فلما رأهم قادمين، مشى
إليهم، يستقبلهم، ويرحب بهم، ويوزع عليهم ابتساماته قائلاً:
أهلاً بسادة قريش، وجلس معهم يدير عليهم الفكاهات،
والمداعبات..

= الفتح، وهو اليوم الذي دخلت فيه قريش في الإسلام طوعاً وكرهاً.. الخ.
(راجع، ابن أبي الحديد: شرح النهج، ج- ١٣ - ص ٢٧٠ - طبعة ثانية
١٩٦٧)

لم يتركوا أبا طالب يستمر طويلاً في دعايه الفكاهية، بل قالوا: يا
أبا طالب!! إن لك سناً، وشرفاً، ومنزلةً فينا، وأنا قد استهينك
من ابن أخيك، فلم تنهه عنا، وأنا لا نصبر على هذا: من شتم
آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله
وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين، ثم صمتوا يلتمسون
منه جواباً.

فماذا كان من أبي طالب؟؟

كان أبو طالب يعلم: أن في أيديهم مفاتيح الأموال، وكان
يعلم أن في المال قوة تسوق عبيد الدرهم - وما أكثرهم - بعصاها
السحرية. وكان يعلم أن إعلان إسلامه سوف يقطع خيط الرجاء
العنكبوتي الذي يربطهم به.. وكان يعلم أن قطع ذلك الخيط،
يعني خلق يأس أحرق في نفس كل منهم يحملهم على المبادرة
إلى الحرب التي يتحاشاها الفريقان.. ولكن.. ماذا يكون نتاج
الحرب لو وقعت؟؟ إنهم سيتكالبون عليه، سيطوقونه كما يُطَوَّقُ
السوار المعصم.. وسيدفعون الأموال لنؤبان القبائل العربية فتش
معهم عليه.. كل هذا سوف يقع إذا قطع الخيط الذي يصلهم
به.. وإذا فلن يكون نتاج الحرب إلا تضييع الرسالة المحمدية،
لأنها ما برحت هلالاً في يومه الأول يحجبه رغبة خفيفة من
الضباب، فكيف، وهناك، رؤوس الطغيان من قريش الذين
يخلقون كل يوم سحابة من الظلمات ليطفؤوا نور الرسالة
المحمدية.

إنَّ عليَّ أبي طالب أن يختار سلوك طريق من اثنين: إما أن
يجهر بإسلامه، وفي ذلك ضياع رسالة السماء، بعد تقحم نهر من

الدماء.. وإما أن يكتنم إسلامه ويجاملهم، وفي مجاملتهم يستطيع حماية محمد، وتحت أفياء حمايته ينمو هلال الرسالة حتى يبلغ كماله، ويعم العالمين نوره.. ثم يكون له معهم - إذا ظلوا ضالين - شأن جديد.

وبعد دراسة، شملت كل نواحي السلب، والإيجاب، قرَّر أن يكتنم إيمانه، ويجاملهم؛ لذلك رق لهم بالكلام، ولطف، وأراهم منه بقدمهم فرحة الحقول بالطيور المفردة. أراهم، أنه أبو طالب بن عبد المطلب الذي لا يرضى إلا أن يرى نبع السعادة يتدفق من كل بيت في مكة.. فأنس القوم به، وتضاءلوا أمام كياسته، ومضوا، فرحين، مرحين.

وبعد ذهابهم أحضر أبو طالب ابن أخيه محمداً، وحدثه بطلب السادة من قريش، ثم قال له:

ابن عليّ وعلى نفسك، ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق.

رضي أبو طالب أن يواجه رسول الله بهذه الكلمات ليسمعها عنه جبابرة قريش، قال أبو طالب لمحمد ذلك، وأخذ يراقب بشعور رهيف حركات ابن أخيه.. ومرت لحظات ثقيلات من الترقب، ولكن هو ذا محمد يتكلم.. فإذا جوابه يأتي كما يشتهي أبو طالب، لقد قال له محمد كلمته التي ستظل رمزاً أبدياً يشير إلى العزيمة، الصلابة، الأبية: والله، يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه..

يا للنبوة المباركة تمتحن في وجودها فتجيب بالتصميم الراسخ، والإرادة الغلابة، المستعلية.

يا لمحمد العظيم، يعلن تحديه لأقيال: المال، والشرك، ثم ينظر في وجه عمه أبي طالب، فإذا هو يراه سائحاً بماء البشر والرضى.. وإذا هو يقول له بتصميم كتصميمه، وعنفوان كعنفوانه: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.. ثم أفاض عليه من أعماق روحه هذه الأبيات:

والله، لن يصلوا إليك بجمعهم

حتى أوسدَ في التراب دفيناً

فاصدعَ بأمرك، ما عليك غضاضةً

وابشر بذلك، وقرّ منك عيوننا

ودعوتني، وعلمت، أنك ناصحي

ولقد صدقت، وكنت، ثمّ، أمينا

ولقد علمت، بأن دين محمد

من خير أديان البرية.. دينا

فانشرح صدر محمد، وسارت الأبيات في قريش، وكأنها السمة الغاربة تحمل عبير الجنان، وفي اعتقادي أنه لم يبق إنسان في مكة، لم يردد هذا البيت الذي يعلق بالذاكرة عفواً عند سماعه، لصدقه، وعذوبته.. أجل، لا أرتاب، أن كل بشر سوي، ذكراً كان أو أنثى ردد بشوة تنفذ إلى أصول الحياة:

ولقد علمت بأن دين محمد

من خير أديان البرية.. دينا

له: يا أبا طالب!! هذا عمارة بن الوليد، أنهد فتى في قريش وأشعره، وأجمله، فخذ، فَكَّ عَقْلُهُ، ونصرته واتخذ ولدًا، وأسلم لنا ابن أخيك، هذا الذي خالف دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، وعاب آلهتهم، فقتله، فإنما رجل، برجل.. هم في هذا العرض يقدمون إليه أشجع فتى عندهم ليتخذ منه ولدًا على أن يعطيهم محمداً ليقتلوه.. وقد حرصوا مع هذا العرض أن يحركوا في نفس أبي طالب عواطف ذكرى الآباء والأجداد. وانتقلوا من تحريك المشاعر إلى التحريض على محمد، لأنه، خالف - حسب رأيهم - دينه.

قالوا له: هذا الذي خالف دينك، ودين آبائك.

بماذا يجيب أبو طالب هؤلاء القوم؟؟

قال لهم: والله لبس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغدوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟؟ هذا، والله لا يكون أبداً..

وهكذا يرفض أبو طالب عرضهم بلا تردد، أو خوف، أو مجاملة.

لو ضعف أبو طالب لمح بصر أمام قومه لانتهى محمد ورسالته.. ولكن أبا طالب قوة عارمة لا تلين عندما يكون الأمر جدياً.. إنهم لو أعطوه جميع شباب مكة، ومعهم كل كنوز مكة لما أعطاهم محمداً.

إنه حينما يعطيهم محمداً يعلم أنه يعطيهم كل معاني الخير لتي صاغها الله من أنوار رحمته لإسعاد البشرية.. إنه يعلم أنه

وذلك لحبهم محمداً منذ عرفوه، وإيمانهم أن محمداً لا ينطق إلا بالصدق، هذا ما كان كامناً عندهم في اللاشعور.. ولكن الأناية، والفردية، والاستكبار، ولكن حب المحافظة على الامتيازات الطبقية، وحب كنز الذهب والفضة، ولكن حب الاحتكار، واستغلال الجماهير التي تعيش من عرقها، ودمها.. هذه الأمور هي التي كانت تدفعهم إلى محاربة محمد، هذه كانت - في التاريخ - ستظل طوفان الشرور الذي يغرق العالم بالمفاسد، والمجازر، والمآسي.. وبعد أن سرت آيات أبي طالب في مكة عبيراً قدسياً.. التقى أصحاب رؤوس المال، ومن يواليهم، في اجتماع طارىء، ومن جديد أيضاً قال قائلهم: ألم أقل لكم إن أبا طالب مؤمن بدين محمد؟؟

وينكر عليه قوله بعضهم، ويستحر الخلاف بينهم بسبب ذلك حتى يدخل في مرحلة التخاصم.

القائلون بإيمان أبي طالب، وجدوا الحجة، الطريفة، الفاصلة في قوله:

ولقد علمتُ، بأنَّ دينَ محمد

من خير أديان البرية. دينا

وأما الآخرون، فكانت حجتهم: إن عاطفة الرحم، ووصية عبد المطلب هما اللتان تمليان على أبي طالب شعره... وتنازعا طويلاً، وتجادلوا، ثم عادوا، فأبرموا رأياً جديداً.

ذهبوا إلى أبي طالب للمرة الثالثة يعرضون عليه أمراً..، قالوا

إذا أعطاهم محمداً، فإنما يعطيهم نبي الهدى، أما هم فماذا يعطونه؟؟

إنهم يعطونه ظلمات الجبت، والطاغوت التي تسجن الإنسانية في كهوف الآلام، والحرمان.. لذلك رفض طلبهم بإصرار ولذلك نظر القوم إلى بعضهم مشدوهين من عنف رده الحاسم.

وخيمت برهة صمت فقد كل منهم فيها قدرته على التفكير، والمناقشة... ويأتي الرد على أبي طالب من مطعم بن عدي أحد حلفائه. قال له مطعم: والله، يا أبا طالب، لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أرى أنك تريد أن تقبل منهم شيئاً.

يا للمفاجأة السارة التي أذهبت دهشتهم.. ها هم يربحون شخصية جديدة لها شأنها في قريش.. ويرى أبو طالب غبطة المشركين بكلمات مطعم فيتوجه إليه يسمه بهذه العبارات المزلزلة: والله ما أنصفوني، ولكنك قد جمعت خذلاني، ومناصرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك.

ويقف آخرون إلى جانب مطعم يعلنون سخطهم على موقف أبي طالب من قومه.. وينهض الجميع من حضرة أبي طالب وينصرفون إلى ناديتهم، وهم يكادون يتميزون غيظاً.

لم يتسرب الوهن إلى نفس أبي طالب، بل ازداد صلابته.

* * *

ويتوالى يوم بعد يوم يسمع فيها أبو طالب أعداءً واهية يتذرع

بها أقاربه الذين تخلوا عنه ساعة العسرة، فإذا هو يقول لهم:

ألا، قل لعمرو، والوليد، ومطعم
ألا ليت حظي من حياطتكم بكر^(١)
أرى أخويننا من أبينا وأمننا
إذا سئلا، قالاً، إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر، ولكن تجرجما
كما جرجمت من رأس «ذي علق» صخر^(٢)
أخص خصوصاً، عبد شمس، ونوفلاً
هما نبدانا، مثلما ينذ الجمر
وتيماً، ومخزوماً، وزهرة منهم
فكانوا لنا مولى، إذا بُني النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة
ولا منهم، ما كان من نسلنا شفر^(٣)
وما ذاك إلا سؤدد خصنا به
إله العباد واصطفانا له الفخر

هذه الأبيات تُبين لنا القوم الذين كانوا حلفاء طبيعيين لأبي طالب بسبب القرابة القريبة، ثم انصرفوا عنه وأعانوا أعداءه عليه،

(١) البكر: الفتى من الإبل.

(٢) تجرجما: سقطاً، ذي علق: اسم جبل، معنى البيت: أن بني عبد شمس، وبني عبد مناف، إخوة الهاشميين قد تخلوا عنهم، مدعين - كذباً - أنهم لا رأي لهم - فسقطوا - بالنسبة لشرف صلة الأرحام سقوط صخرة من رأس جبل (ذي علق).

(٣) شفر: أحد، يقال: ما في الدار شفر، أي أحد.

ويرى أبو طالب أن الحسد هو الذي جعلهم ينقلبون عليه، لأن الله اختصهم، أي الهاشميين بالنبوة التي جاءت ترفعهم فوق الخلائق أجمعين.

ثم يدعو أبو طالب الهاشميين، وأبناء عمهم من بني المطلب إلى اجتماع يتدارسون فيه التطورات الجديدة.. والموقف الذي يجب اتخاذه..

ويحضر الجميع، ويخرجون من الاجتماع روحاً واحدة في جسد واحد، كلهم وقف وراء أبي طالب عملاقاً يفدي رسالة محمد بالدماء الزكية، والأرواح الغالية.

نعم، شذ من الهاشميين أبو لهب عم رسول الله، لأنه كان يخشى - كما كان يخشى أبو سفيان، وأبو جهل، وعتبة، و... وغيرهم - أن يذهب انتصار محمد بماله، ولقد أعلمه الله أن ماله لن يغنى عنه شيئاً حين ذمه بقوله:

﴿تبت يدا أبي لهب وتبَّ. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراً ذات لهب﴾.

وفي إجماع الهاشميين وبني المطلب على شد إزر أبي طالب، يفخر، فيقول:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر

فعبدُ منافٍ سرُّها، وصميمها^(١)

(١) سرها وصميمها: خالصها وكريمها.

فإن حصلت أشراف عبد منافها
ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً، فإن محمداً
هو المصطفى من سرها، وكريمها
تدعُت قريش، غثها، وثمينها
علينا، فلم تظفر، وطاشت حلومها^(١)
وكنا قديماً، لا نقر ظلامه
إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيها
ونحني حماها كل يوم كريمة
ونضرب عن أجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء، وإنما
بأكنافنا تندی، وتنمو أرومها^(٢)

وبعد هذه القصيدة توضح في قريش حزبان: حزب يقوده أبو طالب ومعه رسالة محمد، وحزب يقوده رؤساء قبائل قريش ومعهم الأصنام، والثروات الضخمة...

* * *

مواقف أبي طالب الصلبة في دفاعه عن رسول الإسلام:

كان لأبي طالب وحزبه مكانة إجلال في قلوب رجال الحزب الثاني.. تلك المكانة ورثوها كابراً عن كابر، من هاشم إلى عبد

(١) تدعت: تجمعت. طاشت حلومها: ذهبت عقولها. ثنوا صعر الخدود: أمالوها كبراً.

(٢) العود الذواء: اليايس، وانتعش: أخضر. الأكناف: النواحي، الأرومة: الأصل.

المطلب.. وكان الحزب الثاني يعرف شجاعة الهاشميين، ويخشى مضارب سيوفهم.. يضاف إلى هذا شيء آخر، كان يرتعد منه حزب قريش المشركة هو العرب سكان البوادي الذين يحيطون بمكة.

* * *

كان العرب ينظرون إلى أبناء مكة عامة نظرة إكبار يتخللها لون من التقديس فهم عندهم - أهل الله - لأنهم جيران بيته فإذا أوقد المشركون «الحزب الثاني» نار حرب أهلية بينهم وبين الهاشميين، فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى انحسار معنوياتهم من نفوس القبائل العربية، فيتجرؤون عليهم، وينهبون قوافلهم التجارية التي تمطرهم بالذهب، ومن يدري فقد يغزونهم في مساكنهم، كما يغزو بعضهم بعضاً.

ذلك كان تفكير حزب قريش - حزب الغنى، والأرستقراطية والشرك -.

أما أبو طالب فإنه لم يفكر في دخول حرب مع قريش إلا دفاعاً عن النفس، لأنه أدرك - بعد الدرس الشامل الدقيق - أن الحرب في ذلك الحين ليست في صالح الرسالة التي جاء بها محمد من ربه العلي الأعلى.. فإذا ترك محمد يؤدي الرسالة دون أن يتعرض له أحد بأذى، فهو راضٍ. أما إذا ظهر خطر يتهدد محمداً، فإن أبا طالب سيقود المعركة بنفسه وليكن الذي عليه أوله.

تلکم كانت تقديرات الحزبين، وتقييم كل منهما لموقفه.

ووقف دهاة قريش ريشة في مهب الحيرة، والقلق النفسي، ماذا يفعلون؟؟

أيتركون مبادئ محمد تحتل البلد - تلك المبادئ التي تنزل بهم من سادة تعنوا لهم الرقاب إلى أناس مثل كل الناس؟؟

ماذا يفعلون؟؟

لولا أبو طالب هذا الحصن المنيع الذي يضع محمداً في قلبه ويحميه منهم لهان الخطب..
وتآمر القوم.. وتشاوروا..

وسمع أبو طالب أنهم قرروا أن يفتالوا محمداً.. ثم ينتهي الأمر..

وبعد أن وصل إليه هذا النبأ بأيام، تَفَقَّدَ محمداً ذات يوم فلم يره.

فماذا فعل؟؟

أرسل، فأحضر جمرات الإباء من شبان هاشم، وطلب منهم أن يتقلد كل واحد منهم سيفه، ويسدل فوقه رداءه ثم يذهبون فرداً، ومن جهات متفرقة إلى مجتمع قريش، وهناك يلزم كل واحد منهم رأساً من رؤوس كفرة قريش، دون أن يشير شبيهه ثم قال موضحاً لهم السبب، تفقدت محمداً فلم أراه، وأنتم تعلمون أن هؤلاء الطغاة عقدوا العزم على اغتياله.. وتابع فقال: أنا ماض للبحث عنه، فإن لم أجده جئت مجتمع قريش، فإذا

أبصرتموني، فشدوا أيديكم على مقابض سيوفكم، فإذا رأيتم
يدي ترتفع ثم تهوي، فأشرعوا سيوفكم، واقطفوا الرؤوس قطعاً،
وحذار أن تنصرفوا عن واحد منهم حتى يغدو حطاماً.
وذهب الشباب الأنجاد بصوغون أمر أبي طالب واقعاً حياً..
وانطلق هو يتحسس محمداً في كل مكان كريم... ولم يطل
انتظار فتيان هاشم، فقد شاهدوا أبا طالب يطلع من إحدى
الطرق، ومعه محمد رسول الله، فتهللت وجوههم فرحاً.. ولما
وصل أبو طالب نادى: يا معشر قريش!!

إنه يقول:

ألا ابلى قريشاً حيث حَلَّتْ
وكل سرائر منها غرور
فإني، والضوايح عاديات
وما تلو السفاسرةُ الشهور^(*)
لأل محمد راعٍ، حفيظٌ
وود الصدر مني، والضمير
فلمست بقاطع رحمي وولدي
ولو جرت مظالمها، الجذور
أبأمرُ جمعهم، أبناء فهر
بقتل محمد؟؟ والأمر زور
فلا، وأبيك، لا ظفرت قريش
ولا أمتُ رشاداً، إذ تُشيرُ
بني أخي، ونوط القلب مني
وأبيض، ماؤه، غدق، كثيرُ

(*) يقول تاج العروس: السفاسرة أصحاب الأسفار وهي الكتب الشهور: العلماء
جمع الشهر.

فالتفتوا، إنه صوت أبي طالب.
قالوا: ماذا يريد أبو طالب؟
- هل تدرون ما هممت به؟؟
فقالوا وقد أفرعتهم المفاجأة: ماذا هممت أن تفعل؟؟
فأخبرهم، وطلب من فتیان هاشم أن يكشفوا عن السيوف
المخبأة.. ثم قال:
والله لو قتلتم محمداً لما أبقيت منكم أحداً، أو نتفاني،
نحن، وأنتم.
ثم تركهم آخذاً بيد رسول الله، ولحق به نجوم الإباء من
هاشم.

* * *

كانت كلمات أبي طالب، وما فيها من عزم، وتصميم شيئاً

ويشرب بعده الولدان، رياً
وأحمد، قد تضمنه القبور

أيابن الأنف، أنف بني قصي

كان جبينك القمر المنير^(١)

ويصفي حزب قريش إلى القصيدة الحارة يلفحهم زفيرها .
غير أنهم لا يثيرون عليه قولاً . . ولكنهم يلجون في إيذاء
المؤمنين، وفي المكر بمحمد رسول الله .

* * *

وفي يوم رأى ابن الزبيرى - أحد شياطين الشرك - النبي
يُصلي، فجمع أقداراً، وألقى بها عليه، وهو ساجد. ويأخذ القوم
بالتندر، والسخرية، ويفرغ الرسول من صلاته، وينطلق إلى عمه
أبي طالب جريح خاطر، يشكو إليه ما حل به . . ويهتز أبو طالب
لما يسمع، ولما يرى، ثم يثب إلى سيفه، ويضع حمائله على
عاتقه، ويمضي مع محمد إلى القوم . . فلما رأوه قادمًا، متأبطًا
سيفه، تضعضعوا، وهموا بالقيام، فأسرع في خطوه، وصرخ
فيهم قائلاً:

والله، لئن قام رجل لأقصمته بسيفي هذا، فقعوا في
أماكنهم . . ووقف على رؤوسهم يقول لمحمد:

يا بني!! من الفاعل بك هذا؟؟

فقال: هو ذاك وأشار إلى ابن الزبيرى .

فهجم أبو طالب عليه، ولطمه لطمه على أنفه تركته يسيل
دمًا . . ثم لطمه بتلك الأوساخ . . وعطف على الباقيين يمر بها

(١) الأنف: السيد .

على لحاهم، حتى، إذا أتى عليهم جميعاً، نظر إلى محمد وقال
له:

أرضيت يا ابن أخي؟؟!!

وتسألني من أنت؟؟

أنت النبي محمد قرم، أغر، مسود
لمسو دين أكارم طابوا، وطاب، المولد
أنت السعيد من السعو د تَكَنَّفْتُكَ الأعدُ
من لدن آدم لم يزل فينا وصيُّ مرشد
ولقد عرفتك صادقاً والقول لا يتفند^(١)
نعم الأرومة أضلها عمرو الحطيم، الأوحذ^(٢)
هشم الربكة في الجفان، وعيش مكة أنكد
فجرت بذلك سنة فيها الخبيزة تشرد
ولنا السقاية للحجيج بها يُماتُ العنجد^(٣)
والمأزمان، وما حوت عرفاتها، والمسجد^(٤)
أنى تضام؟؟ ولم أمت وأنا الشجاع، العريد
وبطاح مكة لا يرى فيها نجيع، أسود

(١) الأبيات الثلاثة من مجمع البيان للطبرسي - راجع شرح آية النور ص /١٤٤/-
الجزء (٧ و٨).

(٢) عمرو اسم هاشم بن عبد مناف بن قصي .

(٣) يقول: إنهم كانوا يضعون التمر والزبيب في الماء ليحللوا طعمه ويسقون حجاج
بيت الله .

(٤) قال ابن منظور في لسان العرب:

المأزم: كل طريق ضيق بين جبلين، ومنه سُمِّيَ الموضع الذي بين المشعر
وعرفة مأزمين، وفي الحديث: إني حرمت المدينة حراماً ما بين مأزمتها أهـ .

هل آمنت به قريش؟؟

هل ينزل عليه وحى من السماء؟؟

أسئلة كثيرة، منها ما وصل إليهم جواب عنها، ومنها ما لم يصل..

كل ما عرفوه جملة.. أن القرشيين اختلفوا، فمنهم من آمن بنبوته ومنهم من كفر.. وأن عمه أبا طالب، صاحب الشعر يتولى حمايته من كل معتد أئيم.

* * *

شعر أبي طالب:

كان شعر أبي طالب يغزو النفوس بطراوته، وحلاوته، وصدقه في قوله كل قوله..

وإذا كان كفر قريش قد استطاعوا أن يقفوا حجاباً كثيفاً دون انتشار الدعوة المحمدية، فإن شعر أبي طالب قد اخترق كل حجاب، وتغلغل نساتم لطافاً إلى كل القلوب، ولقد أدرك طواغيت قريش ذلك، إنما ماذا يستطيعون أن يفعلوا؟؟

هل لهم قدرة أن يسيطروا على جمالات الذوق عند الناس؟؟ قالوا: إن شعر أبي طالب دعاية رصينة لمحمد - دعاية جذابة ترق حتى يتملأها كل إحساس.

وتدمروا من أبي طالب ما وسعهم التدمير.. وأخذوا يقولون كأنما ينفسون عما في وجودهم من كرب، وحقد هل صبا أبو طالب؟؟

وينو أبيك، كأنهم أسد العرين، توقدوا ولقد عهدتك صادقاً بالقول، لا تتزيد ما زلت، تنطق بالصواب، وأنت طفل، أمرد وخشعت قلوب الكفر، والمال، للتحدي، الثائر، الهادر، وهبطت القصيدة على مجتمع قريش، ولا سيما المؤمنين فراشات مجنحة، مضمخة بعبير الرياحين.. ولا بد أن الأطفال كانوا يجتمعون حلقات عند المساء، يرددون، بأصواتهم الرخصة:

أنت النبي محمد قرم، أغر مسود ما زلت تنطق بالصواب وأنت، طفل أمرد ولا يخالجنى الشك في أن الرعاة اتخذوا من هذه القصيدة لحناً روحياً يغنونه بطاح مكة، وجبالها:

أنت النبي محمد...

فتهتز طرباً، وتشتعل سحراً، ولا يخامرني الريب في أنها تجاوزت بطاح مكة لتملأ أبعاد الجزيرة العربية سنابل حضارة... وأنفاس حربية. ولا جدال أنها - وهي يشدو بها الشادي، ويحدو الحادي - وجهت أفكار العرب إلى مكة أشد ما يمكن أن تتوجه قلوب الناس وأفكارهم إلى حادث مبدع جديد، ولا بد أن التساؤلات بدأت تملأ خيام القبائل: من هذا النبي؟؟

فإذا وجد من يقول: إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي.. راح السائل يقول: إنه نسب أغر، محلوق في الثريا، ويستأنف، فيسأل: إلى أي شيء يدعو؟؟

إنه يخاطب ابن أخيه فيقول له: أنت النبي محمد.. ويقول له: ما زلت تنطق بالصواب.. هل صبا الرجل حقاً؟؟

إنه لم يعلن إسلامه، ولم نره يصلي مع الرسول، ولم نسمع أنه صلى معه، ومع ذلك فإن محمداً لا يقول عن نفسه أكثر مما يقول عنه عمه أبو طالب. ثم يتساءلون:

هل هي عاطفة الرحم التي تعبد له هذا الطريق؟؟ أم ماذا؟؟

ويتهكم آخرون على أصحاب هذه الفكرة فيقولون لهم:

ما بالكم يا قوم!!!

هل جنتم؟؟

تتهمون محمداً بالجنون، وأنتم المجانين.. ثم يتابعون، فيقولون، مدللين على وجاهة رأيهم وسلامته: نحن نؤكد أن عاطفة الرحم قد تدفعه لحمايته من سيوفنا.. ولكن هذه العاطفة لا يمكن - مهما طغت - أن تدفعه إلى الاعتراف بنبوته إذا لم يكن مؤمناً بتلك النبوة.

إنّ عليكم أن تكونوا على ثقة مطلقة أن أبا طالب مؤمن بنبوة ابن أخيه، وشعره خير شاهد على ذلك، ولكنه يكتف بإيمانه، ويريكم أنه ما يزال على دينكم... وفي هذا ما فيه من تخدير لكم عن منزلته، وإيهامكم أن عاطفة الرحم هي التي تأخذ بخناقه وتضطره إلى مسلكه الصارم، فتجدون له العذر الكافي في وقوفه معه لحمايته.

ويترك هذا الرأي أثراً إيجابياً في نفوس القوم.. فيحدث لفظ.. وكما حدث سابقاً يفتح بينهم باب للجدال في هذا الشأن، كاد ينقلب إلى خصام، وشقاق.. ثم تجمعهم مصالحهم في جزام واحد، فيعودون إلى القول: والآن ما العمل؟؟

كانوا - وهم في سكرة الحيرة يضطربون، ماضين في تنفيذ خطتهم السابقة التي تلخص في أمرين!:-

- التصدي بعنف قاتل للمؤمنين بدين محمد.

٢ - رصد محمد لاغتياله، ولكن بأسلوب مظلل بالغموض يأمنون معه وثبة أبي طالب عليهم...

* * *

إسلام عثمان بن مظعون:

وتمر الأيام، وهم، هم، في حيرتهم.. وعنفهم.. وتربهم.. ويترامى إليهم صباح يوم أن أبا السائب عثمان بن مظعون قد دخل في دين الله. وعثمان بن مظعون له شأنه وله خطره، فهو شجاع، وهو معروف بالحكمة..، وسينجم عن إسلامه حركة تأييد لمحمد، فزحفوا إليه يسلكونه في أغلال التنكيل.. ويطير الخبر إلى أبي طالب، أن عثمان بن مظعون يعذب في ذات الله، فيلبس سلاحه، وينقض عليهم عقاباً على قطا.. ويستله من مقامع العذاب ثم يقول في ذلك:

أمن تذكّر دهر، غير مأمون

أصبحت مكتئباً تبكي، كمحزون؟؟

مستجابة مثل دعوات والده عبد المطلب، ولا ريب أن الله سوف يذل هؤلاء الذين يكيدونه.. ولا ريب أن ابن أخيه محمد الصادق، الأمين، سوف يتصر.. ذلك، كان حديث مجتمع الفقراء، والمساكين، والصالحين، في مكة.

وكان جواب عبدة المال والطاغوت على تلك القصيدة، ولا سيما البيت الأخير الذي يصف القرآن بأنه منزل من الله على نبيه محمد: وإنه يحدث في النفس انفعالات تخشع القلب، وتسحر العقل، لذلك فهو كتاب عجيب، لم تعرف الأرض مثله؛ كان جوابهم استكباراً، وعتواً، ونفوراً.

قالوا: إذا كان أبو طالب يرى ابن أخيه نبياً، فنحن لا نراه إلا شاعراً يلبسه طائف من الجن..

وقالوا: لن نؤمن بدين يجعل أراذلنا أنداداً لنا..

* * *

إسلام ابن عبيد الأسدي المخزومي:

وبينا هم، في صلفهم غارقون جاء من يقول لهم. لقد ربح أبو طالب سيفاً من سيوف بني مخزوم.. لقد أسلم ابن عبيد الأسدي..

وَيَتَوَجَّعُ بنو مخزوم لهذا العار الذي لحق بهم.. ويركضُ وجوههم إلى ابن عبيد، ليعمدوه بنهر من حميم، أو يكفر بمحمد.. فيجفل المخزومي إلى أبي طالب يحتمي به.. وما تلبث إلا قليلاً عند أبي طالب حتى جاء وفد من قومه المخزوميين يطلبون من أبي طالب أن يسلمهم ابن عمهم، وحجتهم، أنه

أم من تذكر أقوام ذوي سفه
يغشون بالظلم، من يدعو إلى الدين؟؟

ألا ترون، أذل الله جمعكم؟
أنا غضبنا لعثمان بن مظعون؟؟

ونمنح الضيم من يبغي مضيئتنا
بكل مطرد، في الكف، مسنون

ومرهفات، كان الملح خالطها
يشفى بها الداء، من هام المجانين

حتى تفر رجالاً، لا حلوم لها
بعد الصلابة، بالإسماح، واللين

أو تؤمنوا، بكتاب، منزل، عجب
على نبي كموسى، أو كذي النون

وما إن يفرغ أبو طالب من قصيدته هذه، حتى تتلقفها الأذهان، وتنداح في مجتمع مكة أمواجاً من التساؤلات ماذا فعلوا بعثمان بن مظعون؟؟

كيف يعذبونه وهو الرجل العاقل الحكيم؟؟

إن أبا طالب غضب له، وأجاره منهم.. وما هو ذا يدعو عليهم فيقول لهم: أذل الله جمعكم.. ويرددون البيت بإعجاب وحبور:

ألا ترون، أذل الله جمعكم
أنا غضبنا لعثمان بن مظعون،

ويسري بين القوم حديث هامس: إن دعوات أبي طالب

ليس من الهاشميين ليجيره أبو طالب عليهم .

قالوا: يا أبا طالب!! هيك منعت ابن أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منّا؟؟

فقال لهم: إنه استجار بي، وهو ابن أختي، وإذا أنا لم أمنع ابن أختي، لم أمنع ابن أخي(*) .

ويرجع المخزوميون يعصف بهم غضب أسود يجعل أفئدتهم تنز المأ.

ويذهبون إلى عباقرتهم يطلعونهم على رد أبي طالب عليهم . فيدمدمون قائلين: لقد تمادى أبو طالب في تأييد محمد . . . ولقد جمع استهتاره بنا . . . لزيته أينا أشد كيداً، وأكثر ناصراً، وأمضى عزماً . . .

وتناجوا: لنفرغ إلى هؤلاء الذين يسمون أنفسهم مؤمنين، ولناخذهم بالأساء، والضراء .

وانسابوا يبطشون بالمسلمين . . . كان عملهم تحدياً سافراً لأبي طالب .

ولاذ المؤمنون بمحمد نبينهم، فانحاز بهم إلى عمه أبي طالب . . .

ويبدأ حوار عقلائي بين النبي العظيم، وعمه البطل . . . وإذا محمد يرى رأياً . . . وَيُنَاقِشُ الرَّأْيَ الْحَكِيمَ بِدَقَّةٍ، فإذا هو قبس

(*) قال ابن الأثير في «أسد الغابة» - الجزء الثالث، صفحة / ١٩٠ / : اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ . . . مِنْ مَخْزُومٍ، يَكْنَى أَبُو سَلَمَةَ، أُمُّهُ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلِذَا قَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ: هُوَ ابْنُ أُخْتِي . . .

حكمة . . . ويطرح الرأي أمام المسلمين فينتابهم ذعر مذهل . . .
الهجرة إلى الحبشة:

قال لهم رسول الله: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه . . .» .

وَيَنْظُرُ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

أيتركون الرسول في غابة الذئاب، ويمضون هم إلى دار السلام؟؟

ولكنه، هكذا يرى، وهو رسول الله، وهم لا يرون . . . وقد أصفى الإيمان سرائرهم - مناصاً من تنفيذ أمره .

وتبدأ الهجرة إلى الحبشة في رجب العام الخامس للبعثة المحمدية وتتم على مرحلتين، ويرتفع عدد المهاجرين حتى يتبلغ ثلاثة وثمانين رجلاً، وثمانين عشرة امرأة . . . وعلى أثر الهجرة تبدأ الوسواس تنبت في ضمائر المشركين .

لقد خافوا أن تقوم للمسلمين قائمة في أرض الحبشة، فيعودون إليهم أقوياء، أشداء .

وفي ناديتهم ينتظمهم اجتماع سري ينصرفون فيه إلى تحليل الأمر الجديد ودراسته . . . وأنهوا الاجتماع بعدما أجمعوا على «خطة عمل» حسبوا أنها ستكون سبباً لجعل الدعوة المحمدية ذكرى للذاكرين . . .

تلك الخطة هي أن يُرسلوا وفداً إلى ملك الحبشة ويقدموا إليه

مع الوفد بعض الهدايا، ويطلبوا منه أن يسلمهم أقاربهم الضالين
فيسلمهم إياهم، فيجيئون بهم، ولا يرون أفضل من أن ينحروهم
قرايين «لهبل» ربهم الأعلى.

قالوا وقد نشط الحبور في أعصابهم: أَيُّظُنُّ أبو طالب ومحمد
أن أيدينا لا تصل إليهم.. ولكن سيرى أبو طالب وابن أخيه
محمد ومن معهم أنهم لن يفلتوا من قبضة أيدينا..
وضحكوا طويلاً..

وقال أبو سفيان.. لم يَبْقَ إلا أن نختار الوفد.

ولكن، من يختارون لهذه المهمة؟؟

وفد قريش إلى النجاشي ملك الحبشة:

إنهم يريدون أن يكونَ رئيسُ الوفد رجلاً عنده دهاء، وفي
دهائه مكر، وفي مكره كيد، وفي كيده غدر.. وهو في غدره
يتشبهُ أن يدوس كُلَّ أقداس الإنسانية إذا خالها تحجزه عن
تحقيق غايته..

وأخذوا يعرضون الأسماء، وكلما اقترح اسم، وُجد من يقول:
إن به خوراً.. أو إن به تردداً.. أو إن لباقة في معالجة القضايا
المعقدة تحتاج إلى نضج أوفى.. أو.. أو..

ويتناول أحدهم بعنقه فيقول: أنا أقدم لكم اسم الرجل الذي
يستطيع أن يقوم بهذه السفارة بينكم، وبين ملك الحبشة على
وجه تام الإتقان، وفيه جميع الصفات التي أنتم عنها تفتشون.

قالوا: ومن هو ذلك؟؟ قل؛ فقد تعبنا من استعراض الأسماء..

فقال: إنه عمرو بن العاص.

عمرو بن العاص؟؟

وأحضر كل منهم في ذهنه ابن العاص.. فإذا هم يوافقون
على اختياره رئيساً للوفد بلا معارض، وأصحابه عبد الله بن أبي
ربيعة بن المغيرة المخزومي.. وقالوا: في عمرو غنى عن
خمسین من الدهاة.

وفي جنح ليل ينطلق الوفد إلى الحبشة، ومعه الهدايا النفيسة،
وترى ابنة عمرو بن العاص أباه يعد نفسه لرحلة طارئة فتسأله
إلى أين يا أبت؟؟!!

فيجيبها قائلاً:

تقول ابنتي: أين أين، الرحيلُ

وما البين مني بمستنكر؟؟

فقلت: دعيني، فلإني امرؤ

أريدُ النجاشي، في جعفر^(١)

لاكويه عنده كية

أقيم بها نخوة الأصعر

ولن أنثني عن بني هاشم

بما أسطفت في الغيب والمحضر

(١) هو جعفر بن أبي طالب الذي كان مرجع المهاجرين من المسلمين في
الحبشة، والنجاشي: ملك الحبشة.

وعن عائب اللات في قوله

ولولا رضى اللات، لم تمطر^(١)

وانى لاشنا قريش له

وان كان كالذهب الأحمر^(٢).

ويمضي عمرو بن العاص حاملاً حقه العتيد لبني هاشم عامة، ولمحمد الذي يعيب اللات، خاصة ولدى وصوله إلى بلاط ملك الحبشة يطلب مقابلته، فيسمح له بالدخول، فيسلم عليه ويقدم الهدايا إلى الملك وبطارقته.. ثم يبدأ بتزويق عبارات الإطراء للملك.. ثم يخلص إلى التحدث عن الغاية التي قصد الملك من أجلها..

حَدَّثَهُ عن المسلمين الذين لجؤوا إليه.. حدثه عن كفرهم بالآلهة.. حدثه عن تفريقهم جماعتهم.. حدثه عن اختلاقيهم ديناً جديداً، غير دينهم، وغير دين الملك، ووسوس له شراً خطيراً هو أنهم سيفسدون عليه بلاده، كما أفسدوا مكة على أهلها.. ثم رجا منه أن يسلمهم إليه، ليرى أبناء عمهم فيهم رأيهم.. فتجتمع بذلك كلمة قريش جيرانه، ويحمدون له عمله ويظل بلده ناعماً بالصفاء..

ولكن النجاشيُّ الملك جعل الخيبة تبتلع براعة ابن العاص حين قال، أحضروا جماعة المسلمين.

(١) عائب اللات هو محمد رسول الله، واللات من آلهتهم الضنمية، يقول ابن

العاص: إذا لم ترض اللات لا ينزل مطر.

(٢) اشنا: أبيض.

ولما حضروا طلب منهم أن يقدموا أحدهم للكلام، فتقدم جعفر بن أبي طالب.

سأله النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم؟؟

فقال له جعفر: أيها الملك!! كنا نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ويأكل القوي منا الضعيف، فبعث الله إلينا رسولاً منا، فدعانا إلى الله نُوحِّدُه، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات وأمرنا بالصلاة والزكاة فصدقناه فعدا علينا قومنا فعذبونا ليردونا إلى ما كنا عليه وقهرونا فخرجنا إلى بلادك، واخترناك على مَنْ سواك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟؟

- نعم.

- فاقراً عليّ.

فقرأ عليه بصوت دافىء مطلع سورة مريم.

* * *

كان وقع الآيات على الملك وبطارقته مؤثراً.. لقد دغدغت تلك الآيات عاطفة الإيمان في قلوبهم، فحركتها.. فإذا هم سيكون.. إذا دموعهم تنسكب على لحاهم قطرات ندى لعمق تأثيرهم.. ورأى عمرو بن العاص ذلك، فأيقن أن كل جهوده قد طارت هباء، ولبث ينتظر كلمة النجاشي الأخيرة، فإذا هو يقول: إن

هذا، والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة.. ثم يوجه كلامه إلى ابن العاص وصاحبه فيقول لهما: انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما.

وهكذا يتفض المجلس، بعدما قلّد ابن العاص طوقاً من الخذلان، ولكن، هل اندحر عمرو بن العاص؟؟

كلا إن في جمعته سهماً آخر مسموماً، سيرمي به المسلمين فيصيب، منهم المقتل، ويظفر برضى النجاشي، فيسلمهم إليه. قال لصاحبه: لا تينهم غداً بما استأصل به خضراءهم.

فقال له صاحبه ابن أبي ربيعة المخزومي: لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا.

إنما، هل يسمع ابن العاص نصيحة ناصح؟؟

إنه يريد أن يرجع بالقوم أسارى إلى رؤساء قريش وسوف يقتحم كل صعب لتحقيق هذه الغاية، لا تعطفه رحم ولا يبض قلبه بقطرة رحمة لقراية.. يجب أن يجند لنيل مآربه كل الوسائل التي تُلقى بطلته في شراكه..، لذلك فإنه استأذن في صباح اليوم الثاني، ودخل على النجاشي يقول له:

أيها الملك العظيم!! إن هؤلاء يزعمون أن عيسى بن مريم عبد.. هذا قول عظيم يا جلالة الملك!!!.

هكذا، يُموّج بقوة مشاعر النعمة في نفس الملك على المسلمين..

ولكن الملك ظل على اتزانه، ولم يفضب.. كل ما عمله أنه أرسل إلى المسلمين، فأقبلوا إليه يزفون، فلما دخلوا عليه قال لهم:

ما تقولون في عيسى بن مريم؟؟

سؤال في جوابه حرج، وأي حرج، ولكن جعفر بن أبي طالب نهض رافع الجبين يقول: نقول فيه الذي جاء به نبينا..

وماذا قال عنه نبيكم؟؟

إنه يقول عنه: هو عبد الله، ورسوله، وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

واستعظم ابن العاص جرأة جعفر، واطمأن إلى أنه ظفر بصيده الثمين، وصوّرت له شهوات نفسه أن الملك سينقلب ناراً تلتظى بال غضب.. وأخذ في مراقبته. هو ذا يريد أن يتكلم.. سيأمر بتسليمهم إليه.. وتتكلم الملك، فإذا هو يقول - بعدما أخذ بيده عوداً من الأرض -: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود..

ثم قال لجعفر ومن معه: اذهبوا فأنتم عندي آمنون.

وقال لأحد وزرائه: ردّوا على عمرو بن العاص هداياه، فلا حاجة لنا فيها.

وقام ابن العاص مدحوراً، مذموماً، يتعثر في أذيال الخسران.



ويسمع أبو طالب بمكر قريش، وكيدها، فإذا هو يكتب إلى

ملك الحبشة يرش عليه عبير الثناء شعراً حلالاً فيقول:

ألا ليت شعري، كيف في الناس جعفرٌ
وعمرو، وأعداء النبي الأقارب؟؟
وهل نال إحسانُ النجاشي جعفرأ
وأصحابه؟؟ أم عاق عن ذلك شاغب؟؟

ثم يخاطب النجاشي فيقول له:

تَعَلَّمْ، آبيت اللعن. إنك ماجد
كريم، فلا يشقى إليك المجانب^(١)
تَعَلَّمْ، بأن الله، زادك بسطة
وأسبابَ خيرٍ، كُلُّها، بك، لازِبُ
وإنك فيضٌ، ذو سجال غزيرة
ينال الأعداي نفعه، والأقارب

وتستعير الأبيات أجنحة من الضوء، فإذا هي تسقط بعد برهة
قصيرة على ملك الحبشة، فيقرؤها.. يا للعة!! حلم مكتنز
بالروعة.. سيد البطحاء، أبو طالب الهاشمي، عم رسول الله
يغدق عليه الثناء أطياباً.. إنها لمفخرة ساطعة جعلت الفرحة
تتفجر ينابيع في صدر النجاشي، وجعلته يذهب في إكرام جعفر
ومن معه من المسلمين إلى أقصى غاية الإكرام.. فيكتب جعفر
إلى والده أبي طالب بذلك.. فيتألق أبو طالب عافية.. وينشط
إلى نظم الشعر، ويبعث بما ينضده من در إلى النجاشي،

(١) آبيت اللعن: تحية الملوك، ومعناه لا أصابك ما تكره.

وسرعان ما تصله الرسالة الشعرية الثانية فيفضها، فإذا فيها:

تعلم، ملك الحبش أن محمداً
نبي، كموسى، والمسيح بن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به
فكلُّ بأمر الله، يهدي لمعصم
وإنكم تتلونونه في كتابكم
بصدق حديث، لا حديث المرجم
فلا تجعلوا لله ندأ، وأسلموا
فلإن طريق الحق ليس بمظلم
وإنك ما تأتيك منا عصابة
لقصدك، إلا أرجعوا بالتكريم

لقد أحب أبو طالب النجاشي ملك الحبشة، لما ينطوي عليه
من خلق سمح، كريم، وأحبه لإكرامه ابنه جعفرأ ومن معه من
المسلمين، وأحبه لأنه أعاد عمرو بن العاص مخذولاً، مقبوحاً..
ومن قلب هذا الحب المطيب بالنقاء، حتى لكأنه غسل مصفى..
جاء يدعو إلى النعيم الأبدي، جاء يدعو إلى مراع الهدي،
والنور جاء يدعو إلى الإيمان بنبوة محمد، لأنه نبي «مثل موسى،
وعيسى» وقرآن محمد نزل مصدقاً للحقائق الذاتية التي احتوتها
الكتب السماوية التي أوحى الله بها إلى الأنبياء السابقين.. ولا
يتركه مضطرب النفس، بل يقدم له البرهان الثابت على نبوة
محمد من إنجيل عيسى.. ثم يدعو بعد ذلك إلى الإسلام الذي
يرفع في المجتمع الإنساني بناءً أخلاقياً راسخاً.. ثم يطلب منه

ان يعبد إلهاً أحداً لا ثاني له، لأن خلق السماوات والأرض، وما فيها وما بينهما، يدل على إله واحد لا شريك له، لذا فهو يقول له:

فلا تجملوا لله ندأ، وأسلموا

فإن طريق الحق ليس بمظلم

ثم يختم شعره بيت يطري فيه كرم النجاشي للمهاجرين من المسلمين، فيخاطبه قائلاً:

وانك ما تأتيك منا عصابة

لقصدك، ألا أرجعوا بالتكرم

أبو طالب لا يحمل راية الجهاد في سبيل الإسلام فحسب بل يحمل راية الدعوة إلى الإسلام أيضاً، فهوذا يدعو النجاشي الملوك إلى الإيمان بنبوة محمد المذكورة في الإنجيل، ويدعوه إلى توحيد الله، وتزبيته عن الشريك، فيستجيب النجاشي لدعوة أبي طالب، فيسلم، ولكنه يكتم إسلامه عن بطانته المتعصبة للمسيحية، وعندما يبلغ الرسول موت النجاشي يصلي عليه - وهو في المدينة - صلاة الغائب، ويدعو له بالمغفرة والرضوان.

ويسمع المترفون، البطرون، من قريش شعر أبي طالب الذي أرسله إلى ملك الحبشة في المرة الأولى والثانية، فينقلبون إلى بعضهم متعجبين.. يتساءلون فيما بينهم:

ما هذا؟؟

ألا يكفي أبا طالب أن ينصر ابن أخيه علينا، ويدعونا إلى الإيمان بدينه، حتى يكتب إلى ملك الحبشة - وهو مسيحي - يدعوه إلى الإسلام؟؟

وتتلون سحنهم، حتى كأنها حرباء..

ومن جديد يتساءلون مستغربين: كيف فعل أبو طالب ذلك؟؟

أما خشي من النجاشي غضبة تدفعه لقتل المسلمين، أو طردهم من بلاده؟؟

وراحوا يقولون: إن أبا طالب شجاع، هذه حقيقة جوهزية نعرفها فيه، وفي البيت الهاشمي، ولكنه يغلو في جرأته حتى ليصح أن تسمى طيشاً.

ويصعد أبو سفيان نفساً حاقدأ ويقول: لقد ذهبت بها عريضة يا أبا طالب.. لقد ذهبت بها عريضة..

وبينا هم يسبحون في بحر من التعجب يقوم أحدهم فيقول: لا تعجبوا يا قوم!! إن إيمان أبي طالب.. إيمانه القلبي المطلق بمبادئ محمد، هو رائده في كل ما يقول، وفي كل ما يفعل، وسوف ترون، وسوف تسمعون منه أكثر مما سمعتم، ورايتم.

كان أبو جهل يقوم، ويقعد، ويلهث، كأن داءً حاداً يمتص دم الحياة من قلبه قطرة، قطرة.. وأخيراً أقعى في زاوية من النادي وغاص في أوحال وساوسه.. ثم إذا ضحكة هوجاء تنبعث منه، فتأخذ بأعناق القوم إليه، ويسألونه: ما يضحكك يا أبا جهل؟؟!!

فقال: سأكفيكم محمداً.. وليكن الحشر الذي يخبر عنه قرآن محمد فسأله: كيف يا أبا جهل؟ حذار أن توقعنا مع أبي طالب في حرب آكلة فقال: لا تخشوا عتاً فسوف نرون أن الجسد هشيم بعد فصل الرأس عنه.

وصمت.. وصمتوا.. دون أن يسأله بياناً عن السر الرهيب الذي التوى عليه.

وفي اليوم الثاني انسل أبو جهل يرصد محمداً.. حتى إذا رآه قد خشع في صلاته، انكب على حجر يحمله جهد طاقته، ويرفعه بين يديه، يريد أن يطوح به على رأس محمد وهو ساجد..

وسجد الرسول، وبرفت عينا أبي جهل بالفدر، ورفع الحجر بأقصى ما يستطيع، وأهوى به على رأس محمد، ولكن، ما هذا؟؟ لقد لصق الحجر بيديه المتشنجتين، فهو لا يفارقهما، ويحاول أبو جهل مراراً أن يلقي الحجر على رأس محمد، غير أن الحجر يتشبث بيديه فلا يزايلهما.. وتنهزم شجاعة أبي جهل، فإذا هو يبدو تافهاً أمام نفسه.. إذا هو يحس أن الدم الذي يجري في عروقه قد استحال تياراً من الفزع - فزع يروي كل ذرة في وجوده، فيبتعد عن الرسول مهرولاً، ويرمي بالحجر من بين يديه فَيَنْحَدِرُ إلى الأرض، ويحدث وقعه دويماً يزيد أبا جهل فزعاً.. فيركض.. ويركض.. وكأن به جنوناً.

ويراه أصحابه قادمًا، وهو يكاد يتقصف جزعاً.. فينهضون إليه يسألونه:

ما بك يا أبا جهل؟؟!! ما لوجهك خاويًا من نقطة واحدة من الدم؟؟ ما لعينيك تكادان تثنان من محجريهما؟؟ ما أصابك؟.

كان أبو جهل يلهث تعبًا، فزعاً.. كان حلقه وشفته كأنهما رمال الصحراء من الجفاف..

فأجلسوه، وأحدقوا به متألّمين لما أصابه، وقدموا له الماء يرطب شفثيه، وحلقه..

وعادوا يسألونه: ماذا دهاك؟؟

وبعد دقائق مترعات بالالم، يتكلم أبو جهل - يتكلم وما تزال عرشة الخوف نغمًا باكيًا في صوته - فيقول:

محمد.. لقد سحرني محمد..

سحرك محمد؟؟؟

كيف؟؟ إنا لا نعلم له معلماً في السحر.

فيقص عليهم خبره.. وإذا هم يستسلمون إلى ضحك متصل.. إذا هم يقولون له هازئين به:

أنت جنت، لعلك تصورت أبا طالب يرفع سيفه فوق عنقك ليحتزه، فجئت تشتد ركضًا، وتركت محمداً ناعماً بصلاته..

وقال: وقالوا.. وانقسموا بين مصدق، ومكذب.. ثم تفرقوا يتحدثون بالخبر، الطريف، الغريب..

* * *

وَيَبْلُغُ النبا أبا طالب.. فإذا هو يسجل معجزة حجر أبي جهل

في القصيدة التالية:

أفيقوا، بني عمنا، وانتهوا
عن الغي، في بعض ذا المنطق
والأ، فإني، إذا، خائفٌ
بوائق في داركم تلتقي
تكون لمن بعدكم عبرة
ورب المنابر والمشرق
كما ذاق من كان من قبلكم
ثمود، وعاد، فماذا بقي؟؟
غداة أتتهم بها صرصر
وناقة ذي العرش إذ تستقي
فحل عليهم بها سخطة
من الله، في ضربة الأزرق
غداة يعرض بعرقوبها
حسام من الهند، ذو رونق
وأعجب من ذاك في أمركم
عجائب في الحجر، الملتصق
بكف الذي قام في جنبه
إلى الصابر، الصادق، المتقي
فأثبته الله في كفه
على رغم ذا الخائن، الأحمق

هذه القصيدة أطلقها رسولاً عنه إلى أبناء العم من قريش.

إنها قصيدة صاغتها عاطفة حب صادق يكثر لهم . . أبو طالب
- وهو يخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم عاد، وثمود، حين
كذب كل منهم رسوله - يقول لهم بلطف يتحلب لينا، ورقة:

أفيقوا بني عمنا!! وانتهوا
عن الغي، في بعض ذا المنطق

كم هو عذب أخذ بالقلب نداؤه: يا بني عمنا انتبهوا من
غفلتكم فإن محمداً نبي الله حقاً، فلا تنسبوا ما ترونه من
معجزات خارقة إلى السحر، فإن السحر أباطيل، وتلك حقائق
مصدرها الله رب العالمين، وكلكم يعلم أن قريشاً لم تعرف
السحر، فلم تهمون محمداً بالسحر؟؟

ولا نرى حرجاً أن نتساءل: لماذا يوجه إليهم أبو طالب ذلك
النداء العاطفي المشرق بالبهاء؟؟

إنه هو نفسه يجيب على هذا السؤال: إنه يخشى أن يحل
عليهم غضب من الله إن لم يؤمنوا بمحمد نبياً، ومن يحلل عليه
غضب الله. فإنه يهلكه، خوفاً عليهم من الدمار، والنار، جعله
يقول لهم:

والأ، فإني، إذا خائفٌ
بوائق في دوركم تلتقي

ولكن، ماذا جنى أبو طالب من ذلك التحجب، ومن ذلك
التحذير؟؟

لقد قابلوا عاطفته الخيرة بالإصرار على العداوة، قابلوا حب

الإنسان ونصحه البريء بمخالب الإنسان الوحش الذي تعرى من الإنسانية.

قالوا: أرايتم كيف يستدرجنا أبو طالب للدخول في دين ابن أخيه محمد؟؟

إنه يخاف علينا مثل قارعة عاد، وشمود، إذا لم نشهد أن ابن أخيه رسول من الله.

ولكننا آذينا محمداً أعمق أذى، ورفضنا أن نؤمن بنبوته أقسى رفض، فلم لم يدع ربه ليسقط علينا كسفاً من السماء؟؟

وقالوا: أبو طالب يرى أن سحر ابن أخيه الذي سلطه على أبي جهل معجزة إلهية.. وهنا يرفع أبو جهل رأسه الخفيض ويومئ إليهم بالسكوت ليقول: أرايتم كيف يتهجم عليّ فيصفي بآني أحمق، لأنني تعمدت قتل محمد؟؟.

ويتصدى ثان فيقول: أبو طالب مؤمن بدين ابن أخيه - هذا الدين الذي مزق وحدة مجتمعنا، هذا الدين الذي يغير تفكيرنا وعاداتنا، ومعتقدنا - هذا الدين الذي يجعل خادم أحدنا مثله في الحقوق والواجبات، أبو طالب يعجبه هذا، وهو يريد أن يرينا أن دين محمد خير الأديان حين يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد

من خير أديان البرية ديناً

ويتلون آخر بنار البغضاء فيقول: إن محمداً يستمد قوته في نباته من عمه أبي طالب..

هلاً تذكرتم قوله حين خنع محمد للمذلة التي أكفأها عليه ابن الزبعرى، وذهب يشكوه إلى عمه؟؟

لقد جاء أبو طالب يغلي غيظاً، وأهان ابن الزبعرى، وكل سادة قريش الذين كانوا حاضرين، ثم أمسك بعضد ابن أخيه يقول له:

أنت النبي محمد قزماً، أغر، مؤود

إنه يريد أن يجعل من ابن أخيه شخصية معنوية يفرضها علينا فرضاً.

ويتحرك عمرو بن العاص ليقول: لقد رأيتم أبا طالب يدعو ملك الحبشة المسيحي إلى الدخول في دين محمد؟؟

وانتصب آخر قائماً فقال: إن أبا طالب يؤكد لهذا الملك أن إنجيل عيسى نص على نبوة محمد.. ويقاطعه ابن العاص فيندفع يقرأ قول أبي طالب بسخرية:

تعلّم مليك الحبش أن محمداً

نبي، كموسى، والمسيح بن مريم

وإنكم تتلونونه في كتابكم

بصدق حديث، لا حديث المرجم

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا

فإن طريق الحق، ليس بمظلم

ثم يعقب فيقول: هل أعجبكم ذلك يا قوم؟؟

المقاطعة:

ويجمع أصحاب الرأي منهم تلك المقترحات في مصنف واحد، ويأخذون بفرزها، ودراستها، واحداً، فواحداً..

كثيرون يرون أن يعلنوا على الهاشميين حرباً تدمرهم تدميراً.. ونوقش هذا الرأي على مهل، ولكنه طوي، لأنهم مَحْصُوه سابقاً فتبين لهم أن نتائجه تستحوذ عليها ظلمات الغموض.. وناقشوا مقترحات ثانية وطووها.. وانتهوا من مناقشة الاقتراحات إلى لا شيء.. ومن بين القوم يرتفع صوت - لم يذكر التاريخ اسم صاحبه - فيقول: لنقاطعهم.

لقد ارتاحوا إلى هذا الاقتراح.. وخيل إليهم بلا تفكير أن فيه لهم انتصاراً، ولكن، كيف يقطعونهم؟؟ هل يمتنعون عن مجالستهم، والكلام معهم؟؟

وظفقوا يدفقون في كلمة «المقاطعة».. ويقلبونها على شتى الوجوه، فأوا، أنه لا مفر لهم من قبولها.

إنما، كيف يجب أن تتم المقاطعة التي تجلب لهم الظفر المنشود؟.

إن في كلمة «مقاطعة» إبهاماً، لأنها تعني أشياء كثيرة.. وهم يريدون أن يحددوا لها معنى واضحاً خالياً من الإبهام، ليصبح الجميع على معرفة، كيف يتقيدون بها؟؟ وكيف ينفذونها؟؟

ومن جديد يفتح باب الحوار على «المقاطعة»، ويتراوح تحديد معناها بين مد، وجزر.. وإذا القوم يهتدون إلى تعريف

وتتعالى الضحكات.. ويشمخ التندر..

ويقول قائلهم: لقد جن أبو طالب..

ويفتح كل منهم جهاز ذاكرته ليتلو بيتاً من شعر أبي طالب في إيمانه بنبوة محمد.. ثم يجمعون على القول: لولا أبو طالب لانتبهنا من أمر محمد منذ حين من الزمن.

ويتحمس أبو سفيان فيقول: إلى متى نصبر على جنون هذا الرجل؟؟

إن الناس يدخلون في دينه أفواجا، وقد سمعت به كل القبائل العربية.. وكثير من أفرادها قدموا مكة فدخلوا في دينه..

إنكم، إن صبرتم طويلاً فلن تشعروا إلا والخيل تأخذكم من كل جانب، فتندمون، ولات حين مندم..

وارتفعت الأصوات: صدق أبو سفيان، يجب أن نقوم بعمل نتخلص به من محمد وعمه أبي طالب.. فيقول خالد بن الوليد: ما هذا العمل؟؟

كلهم يبحث عن جواب على هذا السؤال ينزل شفاء على الجراح التي أحدثها في قلوبهم بغضهم لرسالة محمد التي يرونها وبالأعلى عليهم، لأنها تحرر الناس من الظلم، وتجعلهم إخواناً.

ويجتمعون في اليوم الثاني.. وتبدأ الاقتراحات تتوالى بسرعة، حتى لكان القوم في معركة، كل منهم يقذف بسهمه على شبح العدو الجاثم وراء الخيال.

* * *

للمقاطعة يرضي حقدهم فيقولون: نقاتمهم، فلا نشترى منهم، ولا نبيعهم، ولا نتزوج منهم، ولا نزوجهم منا، أو يعودوا في ملتنا. . وبهذا اتضحت أبعاد معنى كلمة «المقاطعة».. وعندما توضح هذا المعنى في أذهان الجميع هتفوا بسرور: هذا هو الرأي الصواب.. اتركوهم يموتوا جوعاً.. أو يهاجروا من جوارنا.. أو يعودوا إلى رأينا.. وتنادوا: هلموا، نكتب بيننا عهداً على ذلك.. وكتبوا العهد، ووقعوا عليه، ثم علقوه على جدار الكعبة، توكيداً للحفاظ على العهد.

* * *

إن من عادة الناس أن يتعاهدوا على أمر ما.. جلباً لنفع.. أو دفعاً لضرر.. كما توحى إليهم مصالحهم الذاتية.. وقريش نفسها مارست هذا النوع من المعاهدات.. فقد أبرموا بينهم حلفين قبل البعثة المحمدية.

الحلف الأول سمي حلف «المطييين» وخلصته: إن هاشماً والمطلب، وعبد شمس أبناء عبد مناف بن قصي نفسوا على بني عبد الدار بن قصي أبناء عمهم أن يكون لهم الحجابة، واللواء، والسقاية، والرفادة التي خصهم بها والدهم قصي، ورأوا أنهم أولى منهم بذلك، لأن لهم شرفاً، وفضلاً في قومهم أكثر من بني عبد الدار.. وحمي النزاع بينهم، فإذا قريش تنشطر قسمين: قسم مع بني عبد الدار، وقسم مع بني عبد مناف، وتحالف أفراد كل فريق أن لا يتخاذلوا، وأن لا يتخلى أحد منهم عن الآخر.

وفي الكعبة حيث جرى التحالف بين بني عبد مناف ومؤيديهم

قدم بنو عبد مناف جفنة طافحة بالطيب، فكان القوم يغمسون أكفهم فيها بعد العهد، ثم يلصقونها بجدار الكعبة رمزاً للثبات على العهد، فسموا، لذلك المطييين وتعاهد بنو عبد الدار مع حلفائهم عند الكعبة أيضاً فسموا الأحلاف.

وأخذ الفريقان يعدان للحرب عدتها، وعباً كل فريق طاقاته الحربية، ثم تصالحو بلا حرب، على أن: يأخذ بنو عبد مناف السقاية، والرفادة، وأن تبقى الحجابة، واللواء، والندوة لبني عبد الدار..

وأما الحلف الثاني: فقد كان الداعي إليه إنصاف المظلومين من زوَّار مكة: تجاراً كانوا، أو حجاجاً، أو من أهل مكة نفسها وكان أبطاله من الهاشميين، ولا يفوتنا أن نذكر أن محمداً رسول الله حضر هذا الحلف الذي جرى قبل مبعثه، ولم يدخل في هذا الحلف بنو عبد شمس (الأمويون)، ولا بنو نوفل بن عبد مناف، وسمي هذا الحلف - حلف الفضول كما يقول ابن هشام -، لأن المتحالفين تعاقدوا أن ترد الفضول أي الأموال التي تؤخذ ظلماً إلى أصحابها.. وتعاقدوا أيضاً أن ينصفوا كل مظلوم من ظالمه..

هذان الحلفان مرت بهما قريش، قبل نبوة محمد بن عبد الله الحلف الأول وكان حربياً - كما رأينا -، ثم انتهى بالصلح.. والحلف الثاني كان حلفاً غايته إقامة العدل، وسحق الظلم، وقد بلغ من أكبار الرسول لهذا الحلف أن قال بعدما اجتباه الله رسولاً: لو دعيت إلى مثله لأجبت.

أما تحالف قريش الجديد ضد محمد وعمه أبي طالب، وقومهما من بني هاشم والمطلب، فإنه حلف ظالم، لم يسبق له مثل في تاريخ العرب.

قد يستغرب كثير من الناس في زمننا هذا، كيف اهتدى سادة قريش الاستغلال، والشركاء إلى هذه المعاهدة الاقتصادية كما نسميها اليوم.

الحق ليس في الأمر غرابة - هم أصحاب رؤوس الأموال هم ضخام التجار الذين تتردد قوافلهم التجارية بين: الشام، واليمن، والحبشة، والروم، وفارس. . . وهذه التجارة يسرت لهم إنشاء المصارف، وكنز الذهب، والفضة. . . ورأس المال مهد لهم السيطرة على اقتصاد مكة، والجزيرة العربية، وكانوا هم مصدر السلطة التشريعية، والتنفيذية، لأنهم هم رؤساء قبائل مكة.

فأبو سفيان أكثر رجل ثراء في مكة كان رئيس الأمويين، وكانت عنده راية قريش التي تسمى «العقاب» فإذا أخرجها لحرب التف حولها فرسان قريش.

والحارث بن عامر كان رأس بني نوفل، وكان له وظيفة الرقادة في قريش، ومعنى الرقادة أن يفرض ضريبة على المكيين. . . ومن المال الذي يجمعه يُطعم الحجاج الذين يؤمنون بيت الله الحرام.

وعثمان بن طلحة كان رأس بني عبد الدار، وكان له وظيفتان:

١ - سدانة الكعبة أي خدمتها.

٢ - عقد الندوة أي أنهم كانوا يجتمعون عنده للتشاور في الأمور الطارئة الهامة.

ويزيد بن زمعة رأس بني أسد، وكان في قريش بمنزلة قاضي القضاة في أيامنا هذه. . . كانوا لا يرمون أمراً إلا عادوا إليه، فإذا أمضاه نفذ، وإن لم يوافق عليه فإنه يصدر قراراً منه.

وخالد بن الوليد رأس بني مخزوم، وكان يتولى نصب القبة التي تتجمع عندها آلة الحرب، وما يتعلق بها، ثم يرتب هو الجيش.

وصفوان بن أمية كان قيماً على الاستقسام بالأزلام، وهو رأس بني جمح.

والحارث بن قيس رأس بني سهم كان خازن الأموال التي جعلت وقفاً على خدمة الأصنام. . . الخ.

هؤلاء كانوا ركيزة البناء الاقتصادي الذي يلقي ظله الكثيف على مكة وما جاورها، وثرأؤهم الشامخ جعل لهم الصدارة في حكم القبائل القريشية، ومنهم ومن أمثالهم تكوّنت في قريش طبقة تستأثر: بالثروة، والمناصب، والحكم. وانتماؤهم إلى طبقة أرستقراطية متجانسة. . . وحرصهم على الاستئثار بمكاسبهم الطبقية، مَرَجَهُمْ ببعضهم، وشكل منهم توافقاً نفسياً في الأفكار، والمشاعر، والأخلاق، والعقائد، وطرز المعيشة. . . وهذا التوافق فرض عليهم موقفاً اجتماعياً، واحداً. . . ومن ذلك الموقف الاجتماعي الموحد الذي أوجبه مصالحهم المشتركة انبعثت فكرة

المقاطعة الاقتصادية الظالمة التي كفل تنفيذها معاهدة أو دعوها الكعبة.

لا ريب أن تطبيق المعاهدة سيضع الحزب الأول - حزب محمد وعمه أبي طالب أمام اختيارات أربع هي:

١ - إما أن يموتوا جوعاً.

٢ - وإما أن يهاجروا من مكة.

٣ - وإما أن يتخلى محمد عن رسالة السماء فيسلم لهم المال، والزعامة، والرفاه المخمور، المعربد.

٤ - وإما أن يسلمهم أبو طالب محمداً كما جاء في أحد بنود المعاهدة.

ولا شك أنهم يفضلون أن يذر محمد دعوته، فتعود أمورهم وأمور الهاشميين إلى ما كانت عليه من صفاء.

فماذا يختار أبو طالب وابن أخيه الرسول محمد؟؟

أما أن يترك محمد دعوته الرحمانية، وما فيها من مبادئ وتشريع، وأخلاق، ورفق، وحضارة، فهذا أمر لن يكون. إن الله اختاره نبياً، ورسولاً لحمل رسالة الملأ الأعلى إلى بني الإنسان ليجعلهم يسكنون جنات مفروشات بالعدل الاجتماعي، والمحبة والإخاء، والمساواة، والتوحيد. فهو لن يدع الرسالة التي اصطفاه الله لها. ولو ذبح، وصلب، وحرق، وليس محمد أمضى تمسكاً من عمه أبي طالب في تنفيذ أمر الله.

ورؤساء قريش السكاري بنشوة المال، والسلطان، لن يسمحوا

بحرمانهم من امتيازاتهم، ومكاسبهم الطبقية، ما دام لهم أيدي بها يصلون.

وإذاً، فلا لقاء، ولا سلام.. كل حزب ماضٍ في الطريق الذي اختاره لنفسه، لا ينحرف عنه، ولا يقبل نقاشاً، ولا مساومة، في مبادئه، وأحقيتها في نعيم الحياة.

نتائج المقاطعة:

أصبح الهاشميون لا يجدون في مكة من يبيعهم من التجار، ولا من يشتري منهم، حتى صفار الكسبة، لأنهم مرتبطون بالعمالة الكبار ارتباطاً يكاد يكون عضواً.

إنهم يأخذون منهم القروض لتسيير شؤونهم التجارية، فإذا خالفوا لهم أمراً حجبوا عنهم تلك القروض، وحجزوا أموالهم بما لهم عليهم من ديون.. فتبور تجارتهم، وينتهي بهم الحال إلى الجوع، والتشرد.. فهم خوفاً من ذلك يرون أنفسهم مجبرين على تنفيذ ما أمروا به.

وما ترتفع الشمس إلى منبر الضحى، حتى يشهد دار أبي طالب شبان هاشم، والمطلب، يأتونه أفواجا، أفواجا.. يشكون إليه ذلك الكرب العظيم الذي غزاهم به المشركون.

قالوا لعبيدهم: يا أبا طالب، لا طاقة لنا بتحمل ويلات هذه المقاطعة التي تحرمنا حتى مضغة الطعام.

ويستقبلهم أبو طالب بابتسامة تخفي مرارتها إشراقة طمأنينة،

ويقول لهم: ماذا ترون أن نفعل أيها الأبطال؟؟

قالوا: نعمد إلى سيوفنا فنسلها.. ولا نعيدها إلى أغمادها حتى نتفانى، أو ينقضوا هذه الصحيفة اللعينة التي كتبوها، وأثبتوها على جدار الكعبة.

فيقول لهم أبو طالب: هو والله الرأي، لو كان الأمر وفقاً علينا، وعليهم.

قالوا: ومن غيرنا وغيرهم له تطلع إلى ما بيننا؟؟

قال: رسالة محمد.. دين محمد الذي ينقل الإنسانية من متاهات الضلال، إلى جنان الهدى، ومن مساوىء الجاهلية إلى محاسن المدنية..

إن الذي أخشاه إذا لجأنا إلى لغة السيف أن يقتل جميع المسلمين، فيكون ذلك انتكاسة للرسالة - هذا إذا حمى الله رسوله من الأذى..

وصمت الجميع، وتبع الصمت خشوع مهيب، لدى ذكر محمد، ودين محمد، ولبثوا ينتظرون كلمة ثانية من أبي طالب لبثوا ينتظرون رأيه الحكيم.

ويحرك أبو طالب يده.. فتشرئب إليه العيون، وتفتح القلوب سامعها، فإذا هو ينهض قائماً ليقول:

يا قوم!! إنها محنة. إننا نمتحن فيما أخذناه عن محمد من عقيدة.. إننا نمتحن في حبنا لمحمد رسول الله.

يا قوم!! هل ترضون أن يكون الطفلة أقدراً اغتصاماً بينهم وضلالهم، منكم، بالحق، والهدى، والنور؟؟

أنسلمهم محمداً يقتلونه، وندفن بأيدينا كل ما بعثه الله به من خير لنا، وللعالمين؟؟

هل ترضون بذلك؟؟

فعلت الأصوات هادرة: كلا، كلا. إن رقابنا فدى لمحمد ورسالته، إن محمداً عندنا أعلى من نسمات الحياة.

فقال أبو طالب: حياً الله أشبالاً هاشم..

وأنا أقول: كلا، كما قلتم، إن محمداً ورسالته هما الروح بالنسبة لنا جميعاً، فإذا تخلينا عنهما مات وجودنا، سنصير على المقاطعة، نصير على الموت يفتالنا كبداً، كبداً، ونفوض أمورنا إلى الله.

يا قوم!! إن رسالة محمد سوف تنتصر مهما طال الزمن، لأنها رسالة الله.. وهذا ما يؤكد محمد الصادق، الأمين.. فصبراً على البلاء صبراً..

وَيَتَفَرَّقُ القوم، وقد سكبت عبارات أبي طالب في قلوبهم قوة يتحطم أمامها كل طغيان.. وينقطع كل جبروت..

وخلا أبو طالب إلى نفسه.. أخذ الرجل الفذ يتبصر في العواقب.. فرأى المقاطعة تضعهم في مفازة الجوع، والألام.. و.. وطفق يفتش عن رد يعطل ما بيتوا من كيد.. فما لاح في

آفاق عقله بارق يمن إلا الصبر، ورحمة الله..

نعم راودته تعلقة وهم حين قال: هل يثبت هؤلاء على ما أبرموا
من عهود؟؟

ألا يوجد بينهم من تهزه عاطفة قرابة، أو صداقة، فينقض هذا
العهد المشؤوم؟؟

ثم راح يقول وعصير الألم يسيل من كلماته: ألا ما أتعسهم
قوماً!! محمد، يريد أن يطهرهم من الرجس المخزي الذي هم
فيه غارقون فيرفضون، ويطلبون مني أن أسلمهم إياه ليقتلوه.

ألا ما أتعس غباءهم حين يحلمون أنني أسلمهم محمداً نبي
الهدى، والرحمة، ليقتلوه!!

ويتفاعل ما بنفسه من حسرة على هؤلاء الضالين مع عاطفة
الإيمان وحبه لمحمد، ورسالة محمد، فإذا هو يقول:

يرجون منا خطة دون نيلها

ضراب، وطعن، بالوشيج، المقوم^(١)

يرجون أن نسخى بقتل محمد

ولم تختضب سمر العوالي، من الدم

كذبتهم، وبيت الله، حتى تفلقوا

جماجم تلقى بالحطيم، وزمزم

وتقطع أرحام، وتنسى حليلة

حليلاً، ويفشى محرم، بعد محرم

(١) الوشيج المقوم: الرمح، يقال نطاعنوا بالوشيج، وتضاربوا بالسيوف.

على ما مضى، من مقتكم، وعقوقكم

وغشيانكم في أمركم، كل ماثم

وظلم نبي، جاء يدعو، إلى الهدى

وأمرأتي، من عند ذي العرش، قيم

فلا تحسبونا مسلميه، فمثله

إذا كان في قوم، فليس بمسلم

واندفعت القصيدة أعصاراً يجتاح كل بيت في مكة ورأى
المشركون في أبي طالب عزيمة ماردة لا تخيفها الزعازع. ورأوه
يستخف حلومهم عندما يهجس خاطرهم أنه يسلمهم محمداً..
إنه يقول لهم: ذلك لن يكون ولو ثمل الموت من غبِّ الدماء.

يرجون أن نسخى بقتل محمد

ولم تختضب سمر العوالي من الدم

كم رددوا هذا البيت مكبرين شجاعة أبي طالب، وحب
محمداً.. وما مروا كراماً، باتهامه إياهم، إنهم يظلمون نبي الله
محمداً الذي جاءهم بالهدى من الله رب العرش العظيم:

وظلم نبي، جاء، يدعو إلى الهدى

وأمرأتي، من عند ذي العرش، قيم

قالوا: دعوه يهذي برب محمد، ونبوة محمد، دعوه يقول ما
يشاء، فإنه عائد إليكم، حينما يعضه الجوع بتابه الحديد..



الهجرة إلى شعب عبد المطلب:

وتمضي الأيام... وتصبح في حساب الإنسان شهوراً، وعنفون كل من الحزبين يبذخ صلابته، ويتسع عناداً.. ويكره أبو طالب جوار هؤلاء الكفرة، الفجرة، فيجمع الهاشميين، ويخطب فيهم فيقول:

لقد سئمت جوار هؤلاء الضالين، وأرى أن نبتعد عنهم، ونسكن في شعب عبد المطلب.. إنها هجرة صغيرة تبقىنا في مكة.. ثم يسألهم: ماذا ترون أنتم؟؟

* * *

وبين مساء وصباح كان الهاشميون وحزبهم ينزلون ضيوفاً شم الأنوف على شعب عبد المطلب، الذي سُمِّي بعد ذلك «شعب أبي طاب... وهكذا أقفرت مساكن الهاشميين من أهلها... في أول المحرم لسبعة أعوام خلت من البعثة المحمدية».

لقد انتقلوا، رجالاً، ونساءً، وأطفالاً، إلى الشعب.. كل رب أسرة استقر في مكان آثره على غيره.. وهناك راحوا يطوون الأيام والشهور.. يجتمعون.. يتحدثون في أوضاعهم المرهقة.

كانوا يجدون في تعاليم الرسول، عزاء يبرد لهب شعورهم الجريح..

ومر عام، عبوس موحش، وهم في الشعب.. ويدخل عام جديد، يحمل في صحائف أيامه عسراً أنكد إرهاقاً، وآلم مذاقاً.. وفي جلسة من جلسات أبي طالب، على عرش الفكر - الشاعر، يرسل أنةً الكبير، المتمرد، والبطولة المتحدية. وإذا

بتلك الأنة الزكية تفتح قصيدة ما هي إلا رسالة إلى أقاربه من «قريش الارستقراطية».

إنه يظرف معهم في افتتاحية القصيدة فيقول:

ألا، ابلغا عني، على ذات بينها

لؤيساً وخصامن لؤي، بني كعب

وبعد هذه الفاتحة التي تهيء الرغبات إلى سماع ما بعدها، ينتقل إلى التحدث عن محمد، فيعرفهم، أنه نبي كموسى، وأن صفته مذكورة في توراة موسى.

ثم يتبسط في أعلامهم عن محمد فيقول: إن الله اصطفاه نبياً، وأنه تعالى ألقى عليه مائة منه، وما دام كذلك فلا خوف عليه من جورهم.. ولا من الكتاب (أي الصحيفة) التي وضعوها في الكعبة توثيقاً لعري المقاطعة.. ويشبه قرب زوال تلك المعاهدة، بالزبد الذي يبدو على مشافر جمل جائع. هوذا يقول لهم مستفهماً، وفي استفهامه توبيخ مر:

ألم تعلموا، أنا وجدنا محمداً

نبياً، كموسى، خط، في أول الكتب

وأن عليه في العباد محبة

ولا حيف فيمن خصه الله بالحب

وإن الذي رَقَشْتُمْ في كتابكم

يكون لكم يوماً، كراغية السغب

ثم يحاول أن يوقظهم من غفلتهم الجاهلية، يحاول أن يردهم عن

إصرارهم، وعنادهم، ويطلب منهم، أن لا يصفروا إلى أقاويل بعض
الفجرة... ثم يهيب بهم أن لا يقطعوا صلوات المحبة التي طالما
جمعتهم إلى بعضهم، وأن يراعوا، وَيُتَّجِدُوا صلة الأرحام، التي
تجمعهم في جد واحد.

إنه لجميل أن يقول لهم، وفي قوله نعمة غضة، تحرك العواطف
المتحجرة:

أفيقوا، أفيقوا، قبل أن تحفز الربى

ويصبح من لم يجن ذنباً، كذي الذنب

ولا تتبعوا أمر الغواة، وتقطعوا

أواصرنا بعد المودة، والقرب

وكانما خشي أن يفسروا هذه النصيحة، وتذكيرهم بروابط
القربى، على أنها استعطاف يصدر عن فؤاد أهد له الحرمان
وهصره الضعف، فيطمعهم ذلك فيه ويطلبون منه أن يسلمهم
محمدًا، لذلك وكى لا يذهبوا في التفسير هذا المذهب، عطف
الآيات التالية على السابقة موضحاً لهم: إن غرض الذين يريدون
استمرار البغضاء بين الأقارب إشعال حرب تطحن رحاها
الجميع... ثم يمضي فيقول لهم: إننا لن نسلم محمدًا، ولو
صب الزمان علينا كل صروفه حتى نموت جميعاً وتأكل لحومنا
الضباع الكاسرة، ولا نرى أمتع من أن نورد الآيات التي عطفها
على نصحهم أن لا يطيعوا أصحاب النوايا السود.

وتستجلبوا حرباً عواناً وربما

أمر، على من ذاقه، حلب الحرب

فلسنا، وبيت الله، نسلم أحمدًا
لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولما تَبِنَ منا، ومنكم، سوائفُ
وأيد، أيدت، بالمهندة الشهب
بمعترك، ضنك ترى كُسر القنا
به، والضباع العرُّج، تعكف كالشرب

ثم يختم القصيدة بأبيات ثلاثة، يذكرهم فيها نسبة الأغر ليكون
ذلك أعلق في قلوبهم، وأشد تأثيراً في نفوسهم...

إنه يقول لهم: إن أبانا هاشماً الذي تعرفون نداءه، ومكانته
السامقة في قريش أوصانا أن نشرع رماحنا، ولا نسكت على
ضيم، يحاول الناس إنزاله بنا، وأنتم تعلمون أننا فرسان الموت،
وأنا حماة الديار، وأنا أصحاب العقول الراجحة والتدبير المؤيد
بالسُدَاد، حينما تضيق الدنيا على أهلها وتشتعل نار الحرب، وأنا
لا نشكو عضها، ولا نملها، بل إنها هي التي تملنا. ونشكو
ثباتنا، ونجدتنا لنسمعه يقول لهم:

أليس أبونا هاشم شد أزره

وأوصى بنيه بالطعان، وبالضرب

ولكننا أهل الحفاظ، والنهي

إذا طار أرواح الكماة، من الرعب

ولسنا نمل الحرب، حتى تملنا

ولا نشكي مما ينوب من النكب

ولا يستطيع سجن الشعب أن يعتقل القصيدة، بل هي تسرب

مع نسيمات الصبا العلييلة إلى مكة، وتغدو، حديث الجميع في مجالسهم وأسماهم ..

ويتقبل حزب «قريش الأصنام» القصيدة ويرون فيها روح الصدق الذي يمتاز به أبو طالب، ولكنهم يبغضون منها بيتاً واحداً، بيت واحد ينفذ إلى قلوبهم سهماً جارحاً، ذلك البيت هو:

ألم تعلموا، أنا وجدنا محمداً

نبياً كموسى، خُط في أول الكتب

قالوا: إن كلام أبي طالب عن نبوة محمد يفسح أن له اطلاعاً على الكتب السماوية القديمة... ولكنهم يرفضون كل ما يجيئهم به محمد وعمه أبو طالب، وإن كان مسلسلاً من عين اليقين، لأنه يقضي على مصالحهم الفردية: لأنه يحرم عليهم: الربا، والاحتكار، والغش، واستعباد الفقراء والمساكين... و... و... من أجل هذا يرفضون نبوة محمد ومن أجل هذا سوف يستمرون في الرفض، ويحكمون طوق المقاطعة حول عنق أبي طالب، ومحمد وقومهم حتى يأتوهم صاغرين.

ويمضي العام الثاني، أشعث، أغبر، ممزقاً... ويدخل العام الثالث، بارز الأنياب، متحزراً للانقراض، واستلاب الأرواح... ويجابهه سكان «شعب أبي طالب» بعزائم فتية سلاحها الصبر المؤمن بالله رباً وبمحمد نبياً..

تأتي أيام العام الثالث فتزلزل بما تحمله من جوع بائس مطارح

الإباء، ومكامن العزة.. كان المسلمون يتبلغون في العامين الماضيين بما جلبوه وادخروه، حين أووا إلى الشعب حبات من التمر في اليوم للفرد منهم، أو كسرة من خبز يابس متعفن، وهذا الزاد المسكين قد أشفى على النفاذ..

كان امتثالهم لأمر سيدهم أبي طالب أثنى عندهم من نفوسهم وأبو طالب كان يريهم أن محمداً ورسالته أغلى عليه من قطعة كبد، وكان محمد بما ألقاه الله عليه من محبة، وبما نُفِرت به من مهابة، وبما جبله عليه من خلق عظيم محط إجلالهم وإكبارهم.

كان يتلو عليهم آيات زكيات من وحي ربه فتشرح صدورهم وتبرد حرارة الجوع في أكبادهم وينسون ما هم فيه من بلاء وشقاء.

ولكن العام الثالث هذا يأتيهم بمروعات كافرة.. لم تمض أشهر حتى نفذ ما ادخروه، فماذا يفعلون؟؟ كان بعض الأقارب في مكة يرسلون إليهم في ظلمات الليل، يسيراً من طعام بين الحين والحين يمكن الروح من البقاء في الجسد الضاوي.. ولكن المراقبة الشديدة، اليقظة، التي أحكمها «طواغيت قريش» على الشعب، منعت عنهم كل شيء..

وبالرغم من هذا فقد طردوا اليأس حينما طلب منهم أن يتزل ضيقاً عليهم...

قالوا له: سندبحك إن عُدت إلينا، سنعرف كيف نحيا

لمبادئنا، وعقائدنا... وقد عرفوا ذلك فعلاً، فإنهم لم يحجموا أن يسلكوا في الحياة نهجاً جديداً... لقد بدأوا يأكلون أوراق الطلح المرة.. وأخذوا يأكلون أيضاً جلود الحيوانات التي كانوا يستخدمونها للنوم، والجلوس..

ولا بد أن يتساءل إنسان اليوم بشيء من الدهشة: كيف كانوا يأكلون جلود الحيوانات اليابسة؟؟

يحدثنا التاريخ عن ذلك فيقول: إن أحدهم كان يأخذ قطعة الجلد، فيغريها ممّا عليها من صوف، أو وبر، ثم يغسلها بالماء ثم يلوّحها فوق نار هادئة، ثم ينقعها بالماء ثانية بعضاً من الوقت، ثم يأكلها.

تري، هل عرف التاريخ إخلاصاً أنبل من إخلاص هؤلاء القوم لعقائدهم؟؟

ألا ما أمجد القلوب المؤمنة يراودها الموت جوعاً، فتستغلي عليه، وتقابله بسلاح المبدأ، والكبر، المتمرد على الظلم، فينهر الموت وقد امتلأ إعجاباً وإجلالاً.. وفي هذه الغمرة الداجية التي تطبق على سروات هاشم يخلص إلى مسامع قريش أن أبا طالب وجّه إليهم رسالة شعرية جديدة، فيطلبونها، ليروا فيها أبا طالب بعد هذا العسر المميت.. وبعد بحث مجهد يأتي من يقدم إليهم القصيدة، فإذا هو يبلّؤها بمخاطبتهم، فيقول لهم وفي خطابه لمسة عتاب عزيز:

الم تعلموا أن القطيعة ماتم

وأمر بلاء، قاتم، غير حازم؟؟

وأن سبيل الرشد يعلم في غد

وأن نعيم الدهر، ليس بدائم

فلا تشفون أحلامكم في محمد

ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم

تمنيتم أن تقتلوه، وإنما

أمانكم هذي، كأحلام نائم

وانكم، والله، لا تقتلونه

ولما تروا، قطف اللحى، والجماجم

زعمتم، بأننا مسلمون محمداً

ولما تُقاذف دونه، ونزاحم

أمين، حبيب، في العباد، مُسوم

بخاتم رب، قاهر، في الخواتم

يرى الناس برهاناً عليه، وهيبة

وما جاهل في قومه، مثل عالم

نبي، أتاه الوحي، من عند ربه

ومن قال: لا، يقرع بها سن نادم

استمعوا إلى هذه الرسالة الشعرية، فإذا هم لا يرون أثراً

للأمل الذي كانوا به يحلمون...

لقد حلموا أن نفس أبي طالب قد هان بعد هذه الأعوام من

المقاطعة.. ولكنهم رأوا أبا طالب قبل المقاطعة، هو، هو أبو

طالب بعد حوالي ثلاثة أعوام من المقاطعة، الرهيب الخائفة.

قالوا: يا للعجب، العجيب!!! سجنه في الشعب... وجاع

حتى جفت عضلاته - جاع حتى أكل ورق الشجر المر - جاع حتى أكل الجلود اليابسة .. وهذا هو، ما برح على عرش عنفوانه .. كأن لم يحدث شيء ..

ثم انكبوا على القصيدة يتعهدونها بيتاً، بيتاً، وبعد الفراغ من التدقيق فيها، قال أحدهم:

أرايتم كيف يعاتبنا فيقول: إننا ارتكبنا ذنباً لأننا قطعنا جبال القرابة، والمودة، .. ثم تذبذبوا قوله: ستعلمون غداً أيننا سلك سبيل الرشاد، ألا ترون في هذا تهديداً واضحاً؟؟

وبعد هذا التهديد الخفي يحاول أن يسدي إلينا النصيحة بقوله: إن نعيم الدنيا زائل، لا يدوم لأحد ..

ويقطع حديث هذا أبو سفيان ليقول: ليته وقف برسالته عند حدود التهديد، والنصيحة.

هل فاتكم قوله: فلا تسفهن أحلامكم في محمد .. إنه يرانا كعادته سفهاء لأننا لا نؤمن برسالة ابن أخيه وترك ما عبد آبائنا، ونقدم للفقراء أموالنا، ونرضى أن يكون عبيدنا أكفء لنا، وإخواناً ..

وهو، لا يعزب عنه أن يعيد لنا سيرته الأولى: إنه لن يسلم محمداً، ولو ثلمت السيوف من قطع الرقاب .. فقال أبو جهل: وبعد هذا يعرض علينا ابن أخيه - شأنه دوماً وأبداً - نبياً، ينزل الله عليه وحياً، وهو لودعي، لا ينسى أن يزرع في أذهاننا شبحاً مرعباً هو: أن من لم يؤمن بما يقوله عن محمد فإنه سيندم نداماً علقماً.

بني أتاه الوحي من عند ربه

ومن قال: لا، يقرع بها، سن نادم

ثم عبثوا به قائلين: إذا فلتمنع عنه نبوة محمد المقاطعة، ولتطعمه من جوع، وتؤمنه من خوف .. فتمطى أحدهم وقال: يا قوم!! إن أمر أبي طالب لعجب، إنه يقدم ابنه علياً، وهو الفتى، النابه، فدى لابن أخيه محمد.

قالوا: يقدمه فدى لمحمد؟؟ كيف؟؟ أخبرنا!!

قال: لقد علمت أمس من أحد العيون، إن أبا طالب يفرش لمحمد فراشاً ينمه فيه أمام جميع السمار، فإذا ذهب القوم ليناموا يجلب ابنه علياً، ويضعه في فراش محمد، ويأخذ محمداً فينيمه في فراش علي، فإذا جاء أحد يقتل محمداً غيلة فإنه يقتل علياً، ويسلم محمد^(١).

فتعالى الضجيج من كل جانب، وقالوا: هكذا يضحى بابنه ليسلم ابن أخيه .. حقاً، إنه أمر، يدعو إلى العجب.

ثم سألوا الرجل: وهل يرضى عليٌ بذلك، أم أن أباه يلزمه به إلزاماً ..؟؟؟

قال: لا، إن علياً يفعل ذلك طيب النفس، قرير العين، ولقد علمت أن مساجلة شعرية دارت بين أبي طالب وابنه علي في هذا الشأن.

(١) راجع صفحة /٧٧/ من كتاب «أبو طالب» عم النبي لعبد العزيز سيد الأهل، ط، أولى - القاهرة.

قالوا: ما هذه المساجلة؟ هات، أسمعنا.

فتنحرج الرجل وقال: ذات ليلة قال علي لأبيه: يا أبت!! إني مقتول!!

فإذا والده يصارحه: إنه يريد أن يكون فدى لمحمد رسول الله، ويطلب منه الصبر على جلال التضحية، أسمعوا ما قال له:

إصْبِرْ، يَا بَنِيَّ!! فالصبر، أحجى

كل حي، مصيره لشعوب^(١)

قد بذلتك، والبلاء شديد

لفداء الحبيب وأبني الحبيب

لفداء الأغر ذي الحساب الثاقب

والباع، والكريم، النجيب

إن تُصِبَكَ المنون، فالنبل تبرى

فمصيب منها، وغير مصيب

كُلُّ حي، وأن تملئ، بعمر

أخذ من مذاقها، بنصيب

فهتفوا قائلين: ما هذا؟؟ لقد أشرقت نبوة محمد في شعر أبي طالب.. إن هذه الأبيات من لعاب قرآن محمد..

فقال أبو سفيان: ما لنا، ولهذا؟؟ أخبرنا، ماذا قال علي لأبيه؟؟

(١) شعوب، علم للنية. معنى البيت: اصبر يا بني، فمثلك جدير بالصبر على الموت فدى لمحمد رسول الله، لأن الموت هو النهاية التي يصير إليها كل إنسان.

- لقد أجاب علي أباه فقال:

أتأمرني بالصبر، في نصر أحمد

ووالله، ما قلت الذي قلت جازعا

ولكنني أُحِبُّ، أن ترى نصرتي

وتعلم، أي، لم أزل لك طائعا

سأسمى، لوجه الله، في نصر أحمد

نبي الهدى المحمود، طفلاً، ويافعا

قالوا: إن شأن كل من الأب، والابن، لمدهش.. أب يقدم ابنه فدى لإنسان آخر، وابن يحمد أباه لأنه يريد أن يجعل من روحه فادياً لذلك الإنسان. هذا أمر لم تعرف له الدنيا شيئاً غير إبراهيم، وابنه إسماعيل..

فقال عتبة: إن إخلاصهما للدين الذي جاء به محمد، هو الذي يجعلهما يقبلان على ذلك طوعاً.. و.. ويقطع خالد بن الوليد على عتبة حديثه فيقول: والآن علام صمتم؟؟

قالوا: سنمضي في المقاطعة حتى يفتحوا عيونهم، ويروا مكاننا، وينزلوا على رغباتنا، وإذا لم يضعفوا بالرغم مما ينوشهم من ضيق عاصف، فهل نضعف نحن إكراماً لمواطن أبي طالب، ونحن سادة قريش، وإلينا أمرها؟؟

الأرضة تأكل الصحيفة...

وتمر الأيام، وكأنها ظلال غيوم تسوقها ريح لينة.. ويقدم إلينا

ابن هشام في المجلد الثاني من سيرته الحديث التالي فيقول: إن أبا طالب واجه «سادة قريش الأصنام» فقال لهم: يا معشر قريش!! إن ابن أخي أخبرني، فقال: يا عم، إن ربي الله قد سلط الأرض على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً لله إلا أثبتته فيها - أي تركته -، ونفقت منها الظلم والقطيعة، والعدوان.

فقلت له: أربك أخبرك بذلك؟؟

- نعم.

فجئت إليكم لأقول لكم: إن كان ما قال ابن أخي حقاً، فانتهاوا عن مقاطعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذباً، دفعت لكم ابن أخي.

فقال القوم: رضينا، فتعاقدوا على ذلك، وذهبوا إلى الصحيفة، فإذا هي كما قال رسول الله.

فقالوا: هذا سحر ابن أخيك، وأصروا، واستكبروا استكباراً.

ويعود أبو طالب إلى الشعب مُتَهَلَّلَ الوجه، يقص على القوم أخبار الصحيفة، فتعم البهجة، الجميع، وينسون ما هم فيه من بلاء. وبنياهم في ذروة بهجتهم ينشد أبو طالب:

يا شاهد الله!! علي، فاشهد

أنني على دين النبي أحمد

من ضل في الدين فإني مهتدي

ولم لا يغتبط أبو طالب؟؟

ألم يشب لفراغة قريش صدق ابن أخيه محمد رسول الله؟؟
ألم يروا رأي العين أن الأرضة أكلت كلمات المقاطعة،
الظالمة، وأبقت الكلمات الرحيمة؟؟.

إذاً، فما يمنعه أن يمرح، ويرتجز ويفني القوم معه كلماته
بفرح غامر.

يا شاهد الله، علي، فاشهد

أنني على دين النبي أحمد

من ضل في الدين فإني مهتدي

إنهاء المقاطعة... وتمزيق الصحيفة:

ثم ماذا كان بعد ذلك؟؟

لقد استمرت المقاطعة. ويحدثنا الطبري في المجلد الثاني من تاريخه فيقول: إن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد، ومعه غلام يحمل قمحاً، يريد به عمته خديجة بنت خويلد زوجة الرسول، فتعلق به، وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟؟

فقال له أبو البخري، وكان قريباً منهما: طعام لعمته عنده
بَعَثَتْ إليه، أقتنعه أن يأتيها بطعامها؟؟

خَلَّ سبيل الرجل..

فأبى، ولم يتركه أبو جهل، إلا بعد أن ضربه أبو البخري،
ونال منه نيلاً شديداً.

ثم تتلاحق الأخبار - في مكة عن سكان الشعب - قصيدة أبي طالب؛ نوم علي في فراش الرسول يفديه بنفسه . . الصحيفة التي أكلت حروفها الأرضة . . صدقُ محمد عن الصحيفة - قصة حكيم بن حزام وأبو البخري، وأبو جهل - أكلهم ورق الشجر . . فتفاعل تلك الأحداث في نفوس القوم فإذا هي توجد تدمراً، وصخباً . . إذا هي تلقح الأفكار بيقظة جديدة، وتوجهها شطر أبي طالب، وابن أخيه الرسول محمد، ويتحدث إلينا ابن هشام في المجلد الثاني عن أثر ذلك التفاعل في النفوس فيقول:

إن هشام بن عمرو ابن أخي نضلة بن هشام بن عبد مناف، يمضي إلى زهير بن المغيرة، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب فيقول له: يا زهير!! أرضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب وأحوالك الهاشميون حيث علمت يُمنع عنهم الطعام??

أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي جهل، ودعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه .

فقال زهير: ويحك يا هشام!! فماذا أصنع?? إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمتم بنقضها حتى أنقضها .

- قد وجدت رجلاً .

- فمن هو??

- أنا .

قال له زهير: أبغنا رجلاً ثالثاً .

فذهب إلى المطعم بن عدي من بني عبد مناف، فقال له:

يا مطعم!! أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه??

أما والله لو أمكنتموهم من ذلك لتجدنهم إليها منكم سراعاً .

قال: ويلك، ماذا أصنع?? إنما أنا رجل واحد .

- وجدت ثانياً .

- من هو??

- أنا .

- ابغنا ثالثاً .

- قد فعلت .

- من هو??

- زهير بن أمية المخزومي .

- أبغنا رابعاً .

فذهب إلى أبي البخري بن هشام، وأعاد عليه نحوه مما قاله لمطعم، فقال: وهل من أحد يُعين على هذا??

- نعم .

- ومن هو??

- زهير بن أمية المخزومي، والمطعم بن عدي، وأنا معك .

- أبغنا خامساً .

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه، وذكر له قرابتهم، وحققهم، فقال:

وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد??

- نعم، وَسُمِّيَ له القوم... .

وفي موضع بأعلى مكة اسمه «خطم الحجون» اجتمع الخمسة ليلاً، وتعاقدوا على نقض الصحيفة، وتحمس زهير بن أبي أمية المخزومي فقال: أنا أبدؤكم، وأكون أول من يتكلم... .

* * *

واستيقظت مكة صباحاً لتشهد أحداثاً جساماً.. لم يمض من النهار إلا أقله حتى رأى البيت الحرام الرجال الخمسة يطوفون به مع الطائفين.. ثم شاهد الناس زهير بن أمية المخزومي يقبل عليهم بوجه صارم ويقول:

يا أهل مكة!!

فأصغى الحاضرون جميعاً إلى هذا النداء، وهم يقولون في أنفسهم: ما الخير؟؟

ولم يتركهم زهير ينتظرون طويلاً، ليطلع عليهم بنبه الجديد بل اندفع يقول بغضب:

أناكل الطعام، ونبلس الثياب، وبنو هاشم هلكتي؟؟

والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة، الظالمة.

فقال له أبو جهل، وكان في ناحية من المسجد: كَذَّبْتَ والله لن تشق.. .

فقال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حيث كتبت.

فقال أبو البخترى: صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها، ولا نُقْرُ به.

قال المطعم بن عدي: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك نبراً إلى الله منها، ومما كتب فيها.

وقال هشام بن عمرو مثل ذلك، فبهت أبو جهل وقال: هذا أمر دُبر بليل.

وأسرع المطعم بن عدي إلى الصحيفة، ونزعها عن جدار الكعبة، ثم شقها مِرْقاً، ورمى بها إلى الأرض بعصية.. .

رجوع الهاشميين إلى مساكنهم:

كان أبو طالب حاضراً في المسجد يصغي إلى الحوار الغاضب... وما إن شقت الصحيفة حتى انطلق إلى الشعب يرف إلى الهاشميين، النبأ الطري، البهيج.. .

قال لهم: لقد مزقت الصحيفة، فأنتهى بذلك كل عهد أبرموه على مقاطعتنا.. وقص عليهم ما حدث.. ورأت مكة بعد ساعات من شق الصحيفة بني هاشم، وبني المطلب يعودون^(١) إليها، شامخي القامات.. أعزة الوجوه، وعلى رأسهم سندهم أبو طالب، ونيبهم محمد، فتأنس الديار بالغطاريف الأنجاد، وتنفض عن أعطافها غبار الكآبة والوحشة، وتلطف دنيا مكة، وتعذب.. . ويعود زهو الأمل الوضيء إلى الجماهير الكادحة، من الفقراء، والمساكين والعيبد.

(١) كان خروجهم من الشعب في السنة العاشرة للبعثة.

ها أبو طالب يعود، وبين يديه ابن أخيه النبي العظيم الذي يجاهد ليمسوا بهم من وهاد المذلة، والعبودية، والحرمان إلى قمة الكرامة، والحرية، والمحبة.

أول انتصار للرسالة المحمدية:

ويهمل التاريخ أن يسجل: أن ذلك كان أول نصر لنبوة محمد على: الأصنام، وجاهلية المال، والتسلط. . وما إن تندمل جراح أبي طالب النفسية، حتى يتذكر مهاجري المسلمين في الحبشة، فإذا الحنين يطير به إليهم عامة وإلى ابنه جعفر خاصة، وإذا عاطفته الرقيقة تُرسل هذه النفثات التي يتشهى فيها أبو طالب، أن يكون سمع أولئك الذين قطعوا البحر، واستقروا في الحبشة، صنع الله في قريش لِنُصْعِ إليه يقول:

ألا، هل أتى بحرنا صنع ربنا

- على نأبهم - والله بالناس أروء^(١)

فيخبرهم، إن الصحيفة، مُرِّقَت

وإن كل ما لم يرضه الله مفسد

ثم يفخر فيقول:

فمن يَنْشَ من حصار - مكة عِزُّهُ

فعرزتنا، في بطن مكة أَتَلَدُ^(٢)

نشأنا بها، والناس فيها قلائل

فكُنَّا بها نزداد خيراً ونحمد

(١) أروء: أرفق.

(٢) يَنْشَ: ينشأ. أَتَلَدُ: أقدم.

ثم ينتقل إلى نبي الهدى والرحمة محمد فيقول عنه:

ألا إن خير الناس نفساً ووالداً

إذا عد سادات البرية أحمد

نبي الآله، والكريم بأصله

وأخلاقه، وهو الرشيد، المؤيد

ويقبل مجتمع قريش على هذه القصيدة التي أخذنا منها بضعة أبيات إقبال العطاش على الماء. . إن به لهفة إلى سماع شعر أبي طالب بعدما انفلت من حصار الشعب. . فإذا أبو طالب يتجلى لهم من خلال قصيدته فرحاً بنصر الله على الجبارين من قريش. . ويرونه يفخر بحق أنه في الذروة من قريش نسباً. . وأنه أمرهم عزة، وأسخاهم يداً. . ثم راوه يبارك محمداً. . فيصفه بأنه سيد السادات في العالم كله، وأنه - وهو نبي الله - أنبل الناس نفساً وأباً، وخلقاً وأنه مؤيد من الله الذي أرسله إلى العالمين رحمةً وسلاماً.

ويجتمع أفراد كل طبقة في مكة إلى بعضهم يرددون أبيات القصيدة. . ثم يهتف أفراد كل فريق: لله دره ما أمجده شعراً وما أمجده داعياً إلى الإسلام، وما أنور إيمانه بمحمد ونبوة محمد.

أما «جبارو المال والشرك والفردية» فقد هرعوا إلى ناديبهم ينسجون خيوط المؤامرات. . . ويحيكون منها بُرودَ الهلاك لمحمد وعمه وصحبه. . عشر سنوات مرت لم يتعبوا من التأمير. . والأذى. . لم يخجلوا من ظلم عَرَاهُم من قدس الإنسانية يصبونه على بني هاشم حتى أوشكوا أن يقتلوهم رجالاً، ونساءً، وصبيةً،

جوعاً، لولا أن جعل الله لهم مخرجاً..

* * *

ويبدو لهم هاجس بَكرٍ:

لقد تواصلوا هذه المرة باللين، فجنحوا له.. ثم قصدوا محمداً
يعرضون عليه أن يجعلوه عليهم سيّداً. وأن يعطوه من كنوز المال
حتى يرضى.. فرفض العرض بكياسة، وأوضح السبب.

قال لهم: بعثني الله إليكم لتؤمنوا به إلهاً أحداً، وتتقيدوا بما
شرعه من أحكام، لتتعموا أنتم والناس كافة بسعادة الجسد،
والروح.. وأن تؤمنوا أنني رسول الله.

فتركوه - وعادوا، يتجمعون، ويتدارسون رفض محمد، وطلبه
منهم.

قال أبو سفيان متهمكماً نعم، سعادتنا أن يجعل بلالاً العبد
الجبشي مثل أبي سفيان سيد بني أمية.. وأن يجعل في أموالنا
حقاً معلوماً لأراذل الناس.. إني أرى أن محمداً يُريد أن يخرجنا
لا من الظلمات إلى النور، بل من معاقل عزتنا، وسؤددنا، حتى
يجعلنا من صعاليك العرب.

وحرك هذا الكلام حمية النخوة الجاهلية فيهم فصرخوا: هذا
لن يكون ما دمنا أحياء.. ولولا أبو طالب لذبحنا محمداً عند
قدمي هبل..

وفاة أبي طالب ووصيته:

وتعاقب الأيام، وهم يبيتون من المكر أخبثه.. وبيننا هم بين

فصائل مكرهم يعمهون.. جاء من يقول لهم: إن أبا طالب
مريض..

أبو طالب مريض..

إنها بشرى تطفح نفوسهم لسماعها سروراً.

وشاع خبر مرض أبي طالب في مكة. وأمسك نبي الله محمد
والمسلمون أنفاسهم.. وأمسك الكفرة من قريش أنفاسهم أيضاً،
الرسول، والمسلمون يخافون أن يتخطف الموت أبا طالب فينهدم
الحصن المنيع الذي يحتمون به، والمشركون يتلهفون أن يسمعوا
خبر موت أبي طالب ليميلوا على المسلمين ميلاً قادرة، وييطشوا
بهم.. وتثقل وطأة المرض على أبي طالب، ويرى أنه تارك هذا
العالم إلى رياض رحمة الله، فيدعو السادة من قريش: مؤمنهم،
وكافرهم ليحضروا عنده، فيلبون الدعوة، وكل يهمس في أذن
أخيه: ماذا يريد أبو طالب أن يقول لنا؟؟

ويهش أبو طالب للجميع، ويرحب بهم، ثم يلقي عليهم
وصية تنبع الحكمة من كل كلمة من كلماتها، نأخذ منها ما يأتي:

قال لهم: يا معشر قريش!! أنتم صفوة الله من خلقه وقلب
العرب، وفيكم السيد المطاع، وفيكم المقدم الشجاع، واعلموا
أنكم لم تتركوا نصيباً في المآثر إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا
أدركتتموه..

بعد هذه المقدمة اللطيفة شرع بإلقاء وصيته فقال لهم:

وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية - الكعبة - فإن فيها مرضاة الرب، صلوا أرحامكم، ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، وتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم.. أجيوا الداعي، وأعطوا السائل، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة.

وبعد أن يلقي عليهم هذه الوصية الخالدة التي تتضمن كل جملة منها موجة من النور الهادي، المهذب، للنفس، والضمير والخلق، بعد إلقاء - هذه الوصية التي كتبها الإسلام في دستوره، حرفاً، حرفاً، يثني بوصية ثانية، أعلى، وأعلى، من كل ثمين، إنه يوصيهم بمحمد رسول الله فيقول:

وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قریش، والصدیق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، دونكم يا معشر قریش ابن أبيكم، كونوا له ولاة، ولحزبه حماة.

وتمت بصيرته المؤمنة إلى المستقبل، فإذا هو يطلع علينا بنبوءة أثبتت الأيام صدقها، قال: «وأيم الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت ولكأني به، وقد محضته العرب وادها، وأعطته قيادها..». ثم يشير إلى صدق محمد في نبوته، وإلى أنه لا يؤمن برسالته أحد إلا نورّت في قلبه أزهير السعادة، فيقول حالفاً بالله: «والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد.. ولا يأخذ أحدٌ بهديه إلا سعد».

انصروا محمداً فإنه الهادي إلى سواء السبيل^(١):

ثم يبدي حزنه الأليم، لأن الله لم يُمهله ليكافح عن الإسلام، حتى ترتفع شمس، وتسير العالم قاطبة فيقول، ولو كان للنفس مدة، وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي...

وتفرق المجتمعون يذيعون وصية أبي طالب، وتتحدث عنها كل فئة بما يستوي مع وعبها.. وصفاء قابليتها.. ويخلو مجلس أبي طالب إلا من خلاصة الهاشميين، فينظر إليهم بحنان، ويوصيهم فيقول:

يا معشر بني هاشم!! أطيعوا محمداً، وصدقوه تفلحوا، وترشدوا.. وبعدما أمرهم جميعاً بتصديق محمد فيما جاء به من عند الله، وبطاعته فيما يأمر، لأن في تصديقه وطاعته فلاحهم، ورشادهم يتوجه بوصية خاصة إلى أربعة من الهاشميين هم: ولداه: علي، وجعفر، وأخواه: الحمزة، والعباس فيقول:

أوصي، بنصر نبي الله، أربعة
ابني علياً، وعم الخير عباساً
وحمزة الأسد المخشي صولته
وجعفرأ، أن تزدودوا، دونه الناسا
كونوا - فداء لكم أمي، وما ولدت
في نصر أحمد، دون الناس، أتراسا

(١) راجع خالد محمد خالد: في رحاب علي، من صفحة ١٣ - ١٧، طبع مكتبة الأنجلو المصرية - طبعة أولى ١٩٦٦ م.

الرسول الكريم يرثي عمه أبا طالب:

ثم أغمض العينين الكريمتين اللتين طالما سهرتا على رسول الله، ورعتاه، وسعدتا بمرآه: طفلاً، وشاباً، ونبياً... ويمضي علي فينهي الخبر إلى رسول الله، فيبكي النبي عمه العظيم، ويطلب من علي أن يغسله، ويكفنه.. ثم يجيء الرسول، ويمشي في جنازة عمه، ويرثيه، فيقول:

«وصلتك رحم يا عم، وجزيت خيراً، فلقد رببت، وكفلت صغيراً.. ونصرت، وآزرت كبيراً.. أما واللّه لأستغفرنّ لك، ولأشفعنّ لك شفاععة يعجب لها الثقلان».

ومن قلب باك، موجع يندبه فيقول: «وا أبتاه! وا أبا طالباه! وا حزنه عليك يا عم، كيف أسلو عنك يا من رببني صغيراً، وأحببني كبيراً، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة، والروح من الجسد؟؟؟»^(١).

بهذه العبارات الباكيات ودع محمد رسول الله عمه أبا طالب.. بهذه العاطفة النبوية الرحمانية بكى محمد عمه أبا طالب - بكى فيه شرف الإخلاص لرسالته الإلهية، بكى فيه نبل التضحيات التي لم ير الإسلام أقدس منها روحاً ولا أكرم غاية ومقصداً، بكى فيه العم الحبيب المؤمن الذي سقت بطولاته

(١) توفي أبو طالب عن ستة وثمانين عاماً، ومات في شهر رمضان وقيل في رجب آخر السنة العاشرة من مبعث النبي قبل الهجرة بثلاث سنوات وكانت وفاته بعد خديجة بثلاثة أيام، وسُمّي الرسول هذا العام: «عام الحزن»، وقال: اجتمعت عليّ في هذه الأيام مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جرعاً.

شجرة الإسلام حتى امتدت جذورها ورسخت وظللها بجماع وجوده من نار الطغيان حتى شمخت أغصانها وأنصرت..

المرتزقة يتهمون أبا طالب بغضاً بولده علي وإرضاءً لمعاوية:

يبكي الرسول في عمه تلك المعاني الباسقة التي حضنت الإسلام، وحنّت عليه حتى صار فتياً.. أبو طالب، وهو كما رأيناه عند ابن أخيه محمد رسول الله، أبو طالب، وهو الذي عرفناه في سيرة حياته التي مرت مريباً للرسول، حانياً على الإسلام، ومؤمناً به، وداعياً إليه، أبو طالب، وهو كل ذلك التراث المبقرى.. يمتد إليه الحقد الأموي، فيجعل منه كافراً، لم يؤمن بنبوة محمد صلى الله عليه وآله..^(١).

لقد اتهم أحبار اليهود عيسى بالكفر وصلبوه.. وهكذا اتهم أبو طالب، وُصِّل على خشبة الكفر، مع فارق هو: أن عيسى كان حياً عندما اتهموه.. أما أبو طالب فكان قد مضى على وفاته سنون طوال.. ومع فارق ثانٍ هو: أن الغاية من اتهام عيسى وصلبه أن يتخلص أحبار اليهود من تعاليمه التي تحرر الشعب من استغلالهم، وسيطرتهم.. أما أبو طالب فقد اتهم لا لذاته... ولكن بغضاً بولده علي بن أبي طالب.. وكما ظهرت براءة عيسى مما نسب إليه.. فقد ظهرت براءة أبي طالب مما نسب إليه بعدما

(١) يعلق الشيخ المفيد في رسالته (إيمان أبي طالب) على أمر رسول الله علياً بغسل والده وتكفينه فيقول: «فلو كان أبو طالب كافراً لكان عقيل وطالب (كانا ما يزالان على الجاهلية) أحق بتولية الأمر من علي، ولما جاز للمسلم من ولده القيام بأمره لانقطاع العصمة بينهما.. الخ ثم يقول: «ولو مات أبو طالب كافراً لما وسع رسول الله الشاء عليه بعد الموت والدعاء له بشيء من الخير.. اهـ».

انطلوت راية أمية.. . . وبعدما درست الأحاديث، ونفسيات مرتزقة معاوية - الذين وضعوا الأحاديث، وارتضى كل منهم أن يجعل من شخصيته مطية ذلولاً لمعاوية بن أبي سفيان.

* * *

غاب وجه علي بن أبي طالب.. وترنح معاوية في كرسي الحكم.. فإذا المرتزقة يطفون على السطح.. . . بعدما كانوا قابعين في القفر^(١).. . .

هم يعرفون معاوية.. . . ويعرفون الأساليب التي وصل بها إلى الحكم.. . . وهم ليسوا فرسان حرب ليدلوا بمكانتهم الحربية على معاوية.. . . وليسوا من السابقين إلى الإسلام، أو المجاهدين في سبيله ليُشيروا إلى سبقهم، وجهادهم.. . . ولا يُحسنون قول الشعر ليهزوا معاوية بمدائحهم.. . . ليس عند أحدهم منقبة ترفعه عند معاوية، وتجعله ييسط عليه من نعيم دنياه.. . . ولكن.. . . أَيْظَلُّون خارج سوق الانتفاع، ومعاوية، وحاشيته، وبنو سفيان، وبنو أمية غارقون حتى الأذقان في منابع المال، والسلطان، والشهوات؟؟
أيعجزون عن هندسة، ونحت سلم يعرجون فيه إلى سدة معاوية؟؟

لم يتيهوا طويلاً في زوايا التفكير، بل هدتهم غريزة حب الانتفاع الأصيلة فيهم إلى ما يبتغون.. . .

(١) يقول السيد رشيد رضا: «لقد حُوِّل معاوية شكل الحكومة الإسلامية إلى حكومة شخصية استبدادية، جعلت -صالح الأمة كالمال يرثه الأقرب فالأقرب إلى المالك، وإن كرهت الأمة كلها، فكان هذا أصل جميع مصائب الأمة الإسلامية» (راجع: رشيد رضا - مجلة المنار، الجزء (١٢) المجلد (١٢) صفحة /٩٥٥/).

رأوا أن عُمد حكم معاوية ما تزال مضطربة مع وجود السيف المسلط، والدهاء الرهيف.. . . والغدر الماكر.
رأوا أن تثبيتها يحتاج إلى شيء آخر غير منظور - إلى شيء معنوي منبثق من ذات الإسلام.

إن الإسلام يعتمد على ركيزتين أساسيتين هما: القرآن الحكيم، وأحاديث الرسول.. . . أما القرآن فلا سبيل للزيادة عليه، لأنه مدون قبل غيبة الرسول، فهو محفوظ من هنا.. . . ومحفوظ بقوله سبحانه، إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون.. . .
وأما أحاديث الرسول، فإنها لم تدون.

وأحسن هؤلاء بنشوة الفرح تحلق في صدورهم.. . . لقد وجدوا القوة القاهرة التي تخضع معاوية، وتجعله يقربهم إليه، ويمنحهم المال، والمناصب.. . . ومن هنا بدأ الغزل المشبوه.. . . بينه وبينهم.. . . كانت مكانة علي بن أبي طالب في الإسلام نصلاً حاداً يتحرك في قلب معاوية.

قراءة علي من رسول الله، سبقه إلى الإسلام، جهاده الضخم في سبيل الإسلام، أقوال الرسول فيه حتى لتكاد ترفعه إلى الأفق الأخضر الذي يحتله صاحب الرسالة نفسه.

منها قول الرسول: «يا علي!! لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»^(١).

(١) راجع صحيح مسلم الجزء الأول صفحة /١٦١/ وراجع: ابن حجر: الإصابة في التمييز بين الصحابة الجزء الثاني، صفحة /٥٠٩/ طبعة جديدة (بالأوفست)، وراجع: ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب صفحة /٣٧/ بهامش الإصابة الجزء الثالث.

ومنها قول الرسول لجبريل في غزوة أحد عن علي: «إنه مني»، وأنا منه»، فقال جبريل: وأنا منكما^(١)..

ومنها: «علي مني بمنزلة رأسي من بدني»^(٢).

ومنها قوله: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»^(٣).

ومنها قوله: «من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»^(٤).

ومنها.. ومنها..

(١) راجع المجلد الثالث من تاريخ الطبري صفحة /١٤٠٢/.

(٢) ابن حجر: الصواعق المحرقة، طبعة ثانية - مصر، صفحة /١٢٥/.

(٣) الشبلنجي الشافعي، نور الأبصار، صفحة /٧٢/ طبع مصر، وراجع، الصواعق المحرقة صفحة /١٢٦/ طبعة ثانية، وراجع صحيح مسلم - الجزء السابع، صفحة ١٢٢ - ١٢٣، وراجع، السيوطي: تاريخ الخلفاء صفحة /١٧٣/ ط. مصر وراجع أحمد رضا الأزهرى: علي بن أبي طالب صفحة /١٢١/ طبع بيروت.

(٤) راجع ابن عبد ربه: العقد الفريد، المجلد الخامس صفحة /٥٨/ تحقيق محمد سعيد العريان المصري، وإذا شئت أن تقف على حديث الغدير ورواته من أعلام الفريقين، فراجع، الغدير: الشيخ الأميني - المجلد الأول من صفحة (١٤ - ٧١) فإنه يضع بين يديك رواية حديث الغدير من الصحابة والتابعين مرتبة على الحروف الهجائية. ومن صفحة /٧٣- ١٥٢/ حيث يذكر طبقات الرواة من العلماء حتى القرن الرابع عشر - اقرأ هذا ليتجلى لك حديث الغدير شمساً ساطعة رغم كل مكابر... الغدير، طبع دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، وراجع جورج جرداق: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية - الجزء الأول، صفحة /٦٤/ طبع دار الروائع - بيروت، وراجع الحاكم الحسكاني الحنفي المذهب: شواهد التنزيل من صفحة /١٥٦- ١٥٨/، منشورات مؤسسة الأعلمي، لبنان - بيروت، تحقيق الشيخ المحمودي.

بينما كان علي عليه السلام هو هذا المثل الأعلى في أحكام الله ورسوله، كان معاوية، طليق ابن طليق^(١).. ومن المؤلفة قلوبهم^(٢).

كانت كل فضيلة من فضائل علي تزرع في أعصاب معاوية جماً لا ينطفئ من القلق المرهق...

ماذا يفعل ليزحزح مكانة علي من قلب الإسلام والمسلمين..؟؟^(٣)

ماذا يفعل ليشوه سمعة الإمام علي عند جماهير المسلمين؟؟

حَسَدٌ يَشْوِي قَلْبَهُ..

حَقْدٌ يَشْرَبُ دَمَهُ..

أُمُورٌ جَاهِلِيَّةٌ تَقِيْمُهُ وَتَقْعُدُهُ..

ماذا يفعل؟؟

(١) عندما فتحت مكة أبوابها لرسول الله صلى الله عليه وآله خطب في رؤساء

الشرك والطبقية... فقال: ما تظنون أنني فاعل بكم؟؟

قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم.

- اذهبوا، فأنتم الطلقاء، وكان منهم معاوية ووالده أبو سفيان.

(٢) المؤلفة قلوبهم نفر من قريش دخلوا الإسلام كرهاً، فجعل الله لهم سهماً في

الزكاة تالياً لقلوبهم حتى يسكنوا إلى الإسلام، وكيلاً يثيروا الشقاق والفتن بين

المسلمين، وكان منهم أبو سفيان وابنه معاوية.

(٣) قال علي يوماً: «أنا عبد الله، وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها

بعدي إلا كذاب، صليت قبل الناس بسبع سنين» (راجع سنن الحافظ ابن ماجه

- الجزء الأول الحديث /١٢٠/ والجزء الثالث من مستدرك الحاكم صفحة

/١١٢/.

ماذا يفعل؟؟

لم يغب عن المرتزقة ما كان يعمل في وجود معاوية من البغضاء لعلي بن أبي طالب^(١).

لم يغب عنهم أنه كان يخشى أن تعود الخلافة بعده إلى أبناء علي، لأنهم أبناء الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(٢) وهو لا يرضى أن يكون خليفة المسلمين إلا أمويًا سفيانيًا...

وضع الأحاديث:

إذن فهم كانوا يعلمون كل خلجة تشاءب في خاطر معاوية..

(١) يروي شيخ الشافعية محب الدين الطبري في كتابه «ذخائر العقبى» عن أنس بن مالك، قال: صعد رسول الله المنبر فذكر قولاً كثيراً، ثم قال: أين علي بن أبي طالب؟؟ فوثب إليه، فقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فضمه إلى صدره، وقبل بين عينيه وقال بأعلى صوته: معاشر المسلمين! هذا أخي وابن عمي، وختني، هذا، لحمي، ودمي، وشعري، هذا أبو السطين: الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، هذا مفرج الكرب عني، هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه، على مبغضيه لعنة الله، ولعنة اللاعنين، والله بريء منه، وأنا بريء منه، فمن أحب أن ييرا من الله ومني، فليبرأ من علي، وليبلغ الشاهد الغائب... (راجع صفحة ٩٢/ من الذخائر، الناشر مكتبة القدسي في القاهرة عام ١٣٥٦ هـ).

(٢) أخرج مسلم عن عائشة قالت: «خرج النبي غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» راجع باب فضائل علي، (ج ٧) من صحيح مسلم صفحة ١٣٠/- مكتبة ومطبعة: محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر.

وها هي ذي الفرصة المواتية للاستغلال، والظهور تسنح لهم، فهل يتركونها تمر دون أن يصيدوها بشباكهم؟؟

بيد أنهم رأوا فيما يريدون أن يفعلوا شراً يصغر عنده كل شر.. رأوا فيه خيانة لله، ولرسوله، وهدماً لمبادئ الإسلام..

إنهم على وشك أن يختلقوا أحاديث عن رسول الله عامدين.. والرسول قال: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار..

فتوقفوا.. تهيؤوا دخول هذا المعترك الجهنمي.. ولكن توقفهم كان أنياً.. إذ ما لبث معاوية أن لوح لهم بالذهب الوهاج... وترف الجاه، والسلطان.

فتأججت مطامعهم في صدورهم، بعدما خبت.. وانطلقت وساوسهم تصور لهم شهواتهم حوراً عيناً، كأمثال اللؤلؤ المكنون - وهذه الحور تكشف عن مفاتنها أمامهم، وتلتصق بهم بجمع مغرياتهما، ومفاتنها.. فإذا وجوههم تعنوا لها.. وإذا هم ينزلون عند رغبات معاوية ويواقعون الجريمة النكراء.. وإذا هم يضعون أحاديث عن رسول الله تنال من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتمجد معاوية، ومن يريده معاوية.

ولم لا يفعلون ذلك، وهو ذا معاوية يفرض مسبة علي وبنيه ومن يحبهم من على المنابر^(١)؟؟..

(١) راجع ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج - المجلد الثالث، صفحة ٢٢/ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ / لترى عجباً من وضع الأحاديث وبيع (المرتزقة) دينهم بدنياهم، ولترى أن معاوية بغى بغياً ما عرف تاريخ الإنسانية أقبح منه وجهاً...

قال الشيخ محمد أبو زهرة أحد علماء الأزهر الشريف المعاصرين في كتابه: جعفر الصادق صفحة ١١٢/ طبع دار الفكر - بيروت؛ قال: «أَتَّخَذَ مَلُوكُ بَنِي أُمَيَّةٍ سُنَّةَ لِمَنْ إِمَامِ الْهُدَى عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَإِنَّهُ لِيَدُلُّ عَلَى مِقْدَارِ مَا كَانَ يُكْتَبُ أَوْلَئِكَ الْحُكَّامِ مِنْ حَقْدِ دَفِينِ لَالِ الْبَيْتِ، وَقَدْ لَامَ كَثِيرُونَ مَعَاوِيَةَ عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ الْبَالِغِ أَقْصَى حُدُودِ الْحَقْدِ».

«ولقد أرسلت أم المؤمنين السيدة أم سلمة تقول له: إنكم تلعنون الله ورسوله إذ تلعنون علي بن أبي طالب ومن يحبه، وأشهد أن الله ورسوله يجابانه اهـ. ويروي الإمام البخاري في صحيحه - الجزء الرابع صفحة ٧٣/ مطابع دار الشعب أن رسول الله /صلى الله عليه وآله/ قال في غزوة خيبر: «لَأَعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ» اهـ.

ويروي السمودي في الجزء الثاني من تاريخه «مروج الذهب» صفحة ٤٢٣/ الطبعة الأولى تشرين أول ١٩٦٥ (دار الأندلس - لبنان - بيروت) - يروي «أن ابن عباس مرَّ يقوم يتألمون من علي ويسبونه، فقال لقائده: أذني منهم، فأدناه، فقال: أيكم الساب لله؟؟ قالوا: نعوذ بالله أن نسب الله، فقال: أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وآله؟؟ قالوا: نعوذ بالله أن نسب رسول الله، فقال: أيكم الساب علي بن أبي طالب؟ قالوا: أما هذه فنعم. قال: أشهد لقد سمعت رسول الله يقول: «من سبني فقد سب الله، ومن سب عليًّا فقد سبني» اهـ.

ويروي الشيخ سليمان القندوزي الحنفي المذهب في الجزء الأول من كتابه بتايع المودة صفحة ١٣٠/ طبع مؤسسة الأعلمي - بيروت، يروي بسنده عن رسول الله أنه قال لام سلمة: «يا أم سلمة!! هذا عليُّ أحبي، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة علمي، واسمعي، وأشهدني أنه قاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين من بعدي، وهو قاصم أعدائي، ومحبي ستي. واسمعي، وأشهدني، لو أن عبداً عبد الله ألف عام، وألف عام، وألف عام، بين الركن والمقام، ولقي الله مبغضاً لعلي وعترتي أكره الله على منخريه في جهنم يوم القيامة» اهـ.

(والأحاديث المتفق عليها بوجوب حب علي، وبراءة الله ورسوله من مبغضه كثيرة جداً).

وجن - أبو يزيد - فرحاً، لقد وجد سلاحاً جديداً فتاكاً يحارب به علياً الذي لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق.. هذا السلاح يقدمه له أولئك الذين يزعمون أنهم من أصحاب رسول الله.

وأمر معاوية بإرسال الأحاديث المُخْتَلَفَةِ ينشرها تحت كل كوكب سطع فيه الإسلام.. وفرض أن تعلم للصبيان في الكتاتيب.. وأن يخطب بها الخطباء على المنابر أيام الجمع والأعياد.

أصحاب الصحاح:

وبهذه الطريقة الباردة انفتح أمام الأحاديث المختلفة عالم الإسلام، وتوارثها المسلمون جيلاً.. بعد جيل.. ولما شرع

= وراجع تاريخ ابن الأثير - الجزء الثالث، صفحة ٤٧٢/ لتقرأ عن معاوية: أنه عندما استعمل المغيرة بن شعبه على الكوفة عام (٤١) أوصاه قائلاً: «لا تترك شتم علي ودمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي، والإقصاء لهم، والإطراء بشيعة عثمان، والإدناء لهم».

وتقول مجلة «عالم الفكر» المجلد الثاني عشر - إصدار وزارة الأعلام الكويتية عدد كانون الثاني، شباط، آذار، نقلاً عن خطط المقريزي الجزء الثاني ص ٢٥٤/ ١٩٨٢، صفحة ١٣٦٠/ : «وقد ظل القصاص في مجالسهم، والخطباء على منابرهم ينفذون تعاليم معاوية التي أصبحت ناموساً متبعاً لدى من جاء بعده من الخلفاء واستمرت تقول نقلاً عن الكامل للمبرد - الجزء الأول صفحة ١٥٧/ :

«طلت الأمور تسير على هذا النهج حتى ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) الذي وضع حداً لذلك التقليد غير المحمود، فبدأ بنفسه وترك الطعن في العلويين.. وكتب إلى عماله بتركه أيضاً».

ثم يقول: «ولما جاء خلفاؤه أعادوا الأمر إلى سيرته الأولى».

أصحاب الصحاح يطوفون في الأقطار الإسلامية ويجمعون أحاديث الرسول سبكوها في كتبهم على أنها أحاديث صادرة عن رسول الله . لقد تم جمع وتدوين تلك الأحاديث من صدور حفاظ الحديث بعد أكثر من مئة عام من موت معاوية . وقد ذهب مذهب معاوية كل سلاطين أمية الذين جاؤوا بعده ما عدا عمر بن عبد العزيز، فرسخت تلك الأحاديث في الصدور . ثم استقرت في كتب الصحاح كما فكر معاوية وقدر، ودبر . .

النقد العلمي:

وقام بعد ذلك البحث العلمي يظهر زيفها، وزورها . . . يقول أصحاب تاريخ العرب والإسلام - وبلغ اهتمام المسلمين بجمع الأحاديث النبوية، ونقدها نقداً علمياً الذروة في العصر العباسي^(١).

وكان من تلك الأحاديث النبوية المختلفة، الأحاديث التي جعلت من أبي طالب كافراً، لأنه والد علي بن أبي طالب وجعلت من أبي سفيان صحابياً، جليلاً لأنه والد معاوية .

أما واضعو الأحاديث فقد رتعوا في جنات معاوية كما يشتهون .

* * *

نتائج النقد العلمي:

ولكن، ماذا كانت نتائج النقد العلمي، بعد تدوين كتب الصحاح ونشرها؟؟

(١) راجع الصفحة ١٧٨ من الكتاب، طبع وزارة التربية العربية السورية ١٩٧٥ .

حتى الآن، ما تزال النتائج تتأرجح بين القبول العاقل من أناس . . والاعتراض المتعصب بلا برهان من آخرين . . يقول المعترضون: لقد أوردتها كتب الصحاح . . ومعنى هذا أنه لا يجوز نقد، ولا تمحيص . . بل ولا يُبيحون الدخول في نقاش علمي ينهض على أساس مجرى الحوادث التاريخية التي عاشها الرسول، والتي جاءت بعده . . حتى، ولا على أساس ما يتفق مع نفسية الرسول المقدسة وخلقه العظيم ومبادئه الربانية . . لا يبيح المعترضون شيئاً من هذا، بل يطلبون استسلاماً، مطلقاً، أعمى، كأن أصحاب الصحاح أخذوا أحاديثهم من الرسول مباشرة . . وكأن أصحاب الصحاح كانت تتداخلهم العصمة حينما كانوا يجوبون الأمصار ويأخذون الأحاديث من رواتها، وكان المؤرخين والمحدثين لم يُثبتوا أن معاوية أمر بوضع أحاديث عن الرسول تدعم سياسته الأموية . . وكأنما لم يثبت أنه لم يصح عند أبي حنيفة إلا سبعة عشر حديثاً من كل ما روي عن الرسول .

وهكذا . . ما برح النقد العلمي . . والتحرر العقلي يترجحان بين السلب، والإيجاب . .

أبو طالب مسلم مؤمن:

ونحن الآن، فيما نكتبه لرفع تهمة الكفر عن أبي طالب، نتبع أسلوباً معيناً، هذا الأسلوب هو: درس أخلاق، ونفسية «الصحابي» الذي وضع الحديث . . وبعد هذا الدرس تبرز الحقائق بجوهرها الصافي، وينكشف الكذب بلونه القاتم الكريه وقبل البدء بالدراسة لا مفر من القول: إن معاوية وخلفاءه في الحكم، والفكر . . لقنوا المسلمين تقديس كلمة «صحابي» كائناً

مَنْ كَانَ ذَلِكَ الصَّحَابِي بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ سُلُوكِهِ بَعْدَ الرَّسُولِ . . .
 حَتَّى أَنَّهُ يُحْرَمُ نَقْدَ ذَلِكَ السُّلُوكِ، وَلَوْ كَانَ مُخَالَفًا لِتَعَالِيمِ الْقُرْآنِ
 الْكَرِيمِ، وَسَنَةِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْغَايَةَ مِنْ ذَلِكَ هِيَ: أَنَّ
 يَظَلُّ جَمِيعَ مَا يُرَوَى عَنْهُمْ مُتَلَبِّسًا بِالصَّدَقِ فِي نَفُوسِ عَامَةِ
 الْمُسْلِمِينَ . . . وَأَنَّ يَظَلُّ جَمِيعَ مَا مَارَسُوهُ مِنْ أَعْمَالِ مَكَانِ التَّبَجِيلِ
 وَالْإِحْتِرَامِ . . . وَلَعَلَّ ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَجْعَلُ النَّقْدَ
 الْعِلْمِيَّ غَيْرَ مَقْبُولٍ عِنْدَ الْمُعْتَرِضِينَ . . . لِأَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ أَنَّ يَتْرَكُوا
 الْمَرْبُوضَ الَّذِي وَضَعَهُمْ فِيهِ مُعَاوِيَةَ، مِنْذُ انْحَرَفَ مُعَاوِيَةَ، وَجَعَلَ
 الْخِلَافَةَ مُلْكًا وَرِثِيًّا، بَيْنَمَا أَوْجَبَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْحَكِيمِ شُورَى^(١).

صَحَابَةَ أَحَدَثُوا بَعْدَ الرَّسُولِ:

وَحَقًّا، فَإِنَّ سَنَةَ مُعَاوِيَةَ مَا زَالَتْ سَائِدَةً بِالنِّسْبَةِ لِكَلِمَةِ
 «صَحَابِي»، كَانَ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ لَمْ يَدْعُ إِلَى تَحْرِيرِ الْعَقْلِ مِنْ
 الْخُرَافَةِ، وَالتَّقْلِيدِ، وَالْجُمُودِ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَدْعُ الْمُسْلِمَ إِلَى أَنْ
 يَسْتَعْمَلَ عَقْلَهُ فِي كُلِّ مَا يَقَعُ تَحْتَ حِسِّهِ، وَكَأَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْقُدْ
 الصَّحَابَةَ عِنْدَمَا كَانُوا يَخْطِئُونَ . . . وَكَأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَنْقُدُوا
 بَعْضَهُمْ، وَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَضَعْ حُدًّا لِتَقْدِيرِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ
 يَحِيدُونَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ حِينَ قَالَ: يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ
 ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّي أَصِحَّابِي، فَيَقَالُ: لَا تَدْرِي مَا
 أَحَدَثُوا بِعَدْلِكَ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَكَنتَ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا
 دَمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 (١) قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِمُعَاوِيَةَ: «يَا مُعَاوِيَةَ إِنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَقَاتِلَ بِأَهْلِ الشَّامِ رِجَالًا
 لَهُ مِنْ مُحَمَّدٍ /ص/ قُرَابَةٌ قَرِيبَةٌ وَرَحِمٌ مَائِسَةٌ، وَقَدِمَ فِي الْإِسْلَامِ لَا يَعْتَدُ أَحَدٌ
 بِمِثْلِهِ، وَحُدَّةٌ فِي الْحَرْبِ لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، وَإِنَّهُ قَدْ سَارَ إِلَيْكَ
 بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ الْمَعْدُودِينَ، وَفَرَسَانَهُمْ، وَقِرَانَهُمْ، وَأَشْرَافَهُمْ، وَقَدَمَاتِهِمْ فِي =

شَهِيدًا، فَيَقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ^(١)
 أَعُودُ فَأَقُولُ: إِنِّي سَأُنْهَجُ طَرِيقَةَ الدَّرْسِ وَالتَّحْلِيلِ فِي الدِّفَاعِ
 عَنْ أَبِي طَالِبٍ - دَرَسَ وَتَحْلِيلَ. نَفْسِيَّةً وَأَخْلَاقَ الصَّحَابِيِّ الَّذِي
 طَبَخَ الْحَدِيثَ فِي جِرَابِهِ وَنَسَبَهُ إِلَى النَّبِيِّ، وَسَاقْتَصِرُ عَلَى تَقْدِيمِ
 نَمَازِجٍ مِنْ حَيَاةِ عُلَمَاءٍ مِنْ أَعْلَامِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ نَتَبَيَّنُ مِنْ خِلَالِهَا
 نَفْسِيَّتَهُمَا وَأَخْلَاقَهُمَا . . . وَنَفْسِيَّةً، وَأَخْلَاقًا مِنْ سَلَكِ دَرَبِهِمَا لِأَنَّ
 الْجَمِيعَ، يَرُكِّضُونَ فِي حَلْبَةٍ وَاحِدَةٍ، لِغَايَةِ وَاحِدَةٍ.

أَمَّا هَذَانِ الْعُلَمَاءُ فَهُمَا: الْمُغْيِرَةُ بْنُ شَعْبَةَ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، عَلَى
 أَنْ نَبْدَأَ بِالْمَغْيِرَةِ الَّذِي وَضَعَ حَدِيثًا عَنِ الرَّسُولِ قَالَ فِيهِ: «إِنَّ أَبَا
 طَالِبٍ فِي ضَحَضَاحٍ مِنَ النَّارِ»^(٢).

إِسْلَامِ الْمَغْيِرَةِ وَسَبَبِهِ:

يَقُولُ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي كِتَابِهِ الْمَعَارِفِ: كَانَ الْمَغْيِرَةُ صَاحِبَ قَوْمًا
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَتَلَهُمْ غَيْلَةً، وَأَخَذَ مَا مَعَهُمْ^(٣).

= الْإِسْلَامَ، وَلَهُمْ فِي النَّفُوسِ مَهَابَةٌ . . . إِلَى قَوْلِهِ: «وَمَهُمَا نَسِيتَ فَلَا تَنْسَ أَنْتَ
 عَلَى بَاطِلٍ، وَأَنَّ عَلِيًّا عَلَى حَقٍّ».

(١) رَاجِعْ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ: شَرْحُ النَّهْجِ - ج - ٥ - ص - ١٨٠ - طَبْعَةٌ ثَانِيَةٌ (١٩٦٥).
 تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدُ أَبُو الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ - الْمِصْرِيُّ
 (١) رَاجِعْ، صَحِيحُ الْبِخَارِيِّ: الْجُزْءُ السَّادِسُ (كِتَابُ الْمَائِدَةِ) صَفْحَةٌ ٦٩/،
 وَأَخْرَجَ الْحَدِيثَ فِي الصَّفْحَةِ ٧٠/ أَيْضًا، مَطَابِعُ الشُّعْبِ ١٣٧٨؛ وَأَخْرَجَهُ فِي
 الْجُزْءِ الثَّانِي (كِتَابُ الْفِتَنِ) صَفْحَةٌ ٥٩/.

(٢) رَاجِعْ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ الْمُعْتَزَلِيَّ: شَرْحُ النَّهْجِ، الْمَجْلَدُ الثَّلَاثُ، صَفْحَةٌ
 ٤٦٦/ طَبْعَةٌ عَامَ ١٩٥٤، قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ تَعْلِيْقًا عَلَى حَدِيثِ الْمَغْيِرَةِ:
 «قَالُوا: وَأَمَّا حَدِيثُ الضَّحَضَاحِ مِنَ النَّارِ فَمِنْ بَرِيهِ النَّاسِ كُلِّهِمْ عَنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ
 هُوَ الْمَغْيِرَةُ بْنُ شَعْبَةَ وَبَغِضَهُ لِبَنِي هَاشِمٍ وَعَلَى الْخِصْرِصِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 مَشْهُورٌ مَعْلُومٌ، وَقَصَّتْهُ وَفَسَقَتْهُ غَيْرَ خَافٍ».

(٣) رَاجِعْ الصَّفْحَةَ ١٢٨، ط، ١٩٧٠.

هكذا غدر برفاقه فقتلهم، وأخذ نقودهم، ولما خشي أن يطلب بالثأر من ذويهم، جاء رسول الله، فدخل في الإسلام ليحمي نفسه، وكان ذلك في العام السادس للهجرة.

ويقول ابن أبي الحديد عن هذه الحادثة: المغيرة جاء بنقود الثلاثة عشر رجلاً الذين غدر بهم إلى رسول الله ليخمسها، فقال له رسول الله: «أما إسلامك فقد قبلته، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً، ولا نخمسها، لأن هذا عَدْرٌ، والغدر لا خير فيه»^(١).

عبد الرحمن بن عوف الزهري يتهم المغيرة بالكذب، والنفاق:

يقول صاحب العقد الفريد: قال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن بن عوف الزهري حينما بايع عثمان بالخلافة: يا أبا محمد!! قد أصبت إذ بايعت عثمان، ولو بايعت غيره لما رضيتاه. فقال له عبد الرحمن: كذبت يا أعور، لو بايعت غيره لبايعة، وقلت هذه المقالة^(٢).

عمر يقول للمغيرة: أنت الفاجر:

قال ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد: إن عمر بن الخطاب، قال لما شكأ إليه أهالي الكوفة سعد بن أبي وقاص: من يعذرني من أهل الكوفة؟؟ إن وليت عليهم التقي ضعفوه، وإن وليت عليهم القوي فجزوه. فقال له المغيرة: يا أمير المؤمنين إن التقي الضعيف له تقواه وعليك ضعفه، والقوي الفاجر لك قوته، وعليه

فجزوه. فقال: صدقت، فأنت القوي الفاجر، فولاه الكوفة^(٣).

المغيرة يختلق الأحاديث:

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: إن أبا جعفر الأسكافي المعتزلي قال: إن معاوية جعل جعلاً لقوم من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تفضي الطعن فيه، فاختلفوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير^(٤).

المغيرة يشير على معاوية بتولية يزيد^(٥):

قال صاحب العقد الفريد: كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية حين كبر، وخاف أن يستبدل به غيره: أما بعد فقد كبرت سني وروق عظمي، واقترب أجلي، وسفهني سفهاء قريش، فرأي أمير المؤمنين في عمله موفق.

فكتب إليه معاوية: أما ما ذكرت من كبر سنك، فأنت أكلت شبابك، وأما ما ذكرت من اقتراب أجلك، فإني لو أستطيع دفع المنية لدفعتها عن آل أبي سفيان، وأما ما ذكرت من سفهاء قريش، فحلماؤها أحلوك ذلك المحل، وأما ما ذكرت من العمل فضح رويداً، يدرك الهيجا حمل..

(١) راجع ص ١٦ من الجزء الأول من العقد الفريد المذكور.

(٢) راجع صفحة ٣٥٨ من الجزء الأول من شرح النهج، ط، ١٩٥٤.

(٣) راجع صفحة ٦٠ - ٦١ من الجزء الأول من المجلد الأول للعقد، تحقيق محمد سعيد العريان.

(١) راجع هذه الحادثة مفصلة في ص ٦١٨ من المجلد الرابع من شرح النهج.
(٢) راجع الجزء الخامس من المجلد الثالث من العقد، ص ٣٠. تحقيق العريان، وراجع: ابن الأثير - الكامل الجزء الثالث. صفحة ٣٨/.

فلما انتهى الكتاب إلى المغيرة، كتب إليه يستأذنه في القدوم فأذن له، فلما دخل عليه، قال له معاوية: يا مغيرة، كبرت سنك، ورق عظمك، ولم يبق منك شيء، ولا أراني إلا مستبدلاً بك، فانصرف المغيرة، وقد بدت الكتابة في وجهه وأخبر الذين كانوا معه بما كان من أمره. قالوا له: فما تريد أن تصنع؟؟ قال: ستعلمون ذلك.

فأتى معاوية فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الأنفس يُغدى عليها وُبراح، ولست في زمن أبي بكر، ولا عمر، فلو نصبت لنا علماً من بعدك نصير إليه، فإني كنت، قد دعوت أهل العراق لبيعة يزيد.

فقال له معاوية: يا أبا محمد، انصرف إلى عملك، ورّم هذا الأمر لابن أخيك.

يقول مرافقو المغيرة: فأقبلنا نركض على النجب، فالتفت المغيرة فقال: لقد وضعت رجله في ركاب ألقى عليه أمة محمد^(١).

المغيرة الزانسي:

عد الثعالبي في كتابه: لطائف المعارف، المغيرة بن شعبة من طبقة الزناة^(٢). ويقول ابن أبي الحديد: إن حسان بن ثابت هجاه

(١) يعترف أنه خان أمة محمد لأنه أشار بتولية يزيد ولكنه يريد أن يظل حاكماً على الكوفة، وليكن الطوفان.

(٢) راجع صفحة ١٠٠ من اللطائف وراجع صفحة ٧٢ من الجزء الثاني من تاريخ =

على زناه، فقال له:

تركت الدين والإسلام لما

بدت لك غدوة ذات النصف^(١)

المغيرة الانتهازي:

يقول المستشرق كارل بروكلمان الألماني، في كتابه: تاريخ الشعوب الإسلامية: ولي معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة، وهو رجل انتهازي، لا ذمة له، ولا ذمام^(٢).

وفي سنة (٦٣٨ م) عزل من منصبه بسبب من سوء السيرة الأخلاقية^(٣).

إسلام المغيرة غير صحيح:

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونية جميلة، ولكنه أظهر الإسلام^(٤).

المغيرة الراشي:

روى ابن الأثير في الجزء الرابع من (أسد الغابة) صفحة

= أبي الغداء وراجع صفحة /١٦٨/ من المجلد الثالث من شرح النهج حيث ترى الحسن يقول للمغيرة: إن حد الله في الزنا عليك ثابت.

(١) راجع ص ٢٤٠ من المجلد الثالث من شرح النهج المذكور.

(٢) راجع صفحة ١٢١ طبعة ١٩٦٥.

(٣) المصدر السابق صفحة /١٢٢/.

(٤) راجع ص ٦١٧ من المجلد الرابع من النهج، ط، ١٩٥٤، وقد أورد هذه الحادثة مفصلة صاحب الأغاني كما ذكر ابن أبي الحديد، راجع صفحة

/٦١٨/.

٤٧٢/ (ط. دار الفكر - بيروت) أن «المغيرة أول من رشى في الإسلام، أعطى «يرفا» حاجب عمر بن الخطاب شيئاً حتى أدخله إلى دار عمره اهـ.

المغيرة وعمرو بن العاص أفسدا الإسلام:

قال الحسن البصري: «أفسد أمر هذه الأمة اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف، والمغيرة بن شعبة حين أشار على معاوية بتولية يزيد ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة»^(١).

هذه لقطاتٌ من حياة المغيرة بن شعبة انتزعناها من التاريخ الإسلامي؛ ونتركُ المغيرة الآن لنخلصَ إلى «أبي هريرة» الذي وضع الحديث التالي عن رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله لعمه أبي طالب: «قل: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة» فأبى.

ونرى أن نذهب مع أبي هريرة، كما ذهبنا مع «المغيرة»، فنأخذ من كتب التاريخ والحديث، نتفأ من حياته تكشف عن نفسه وأخلاقه..

أبو هريرة الأجير الجائع:

يقول الدينوري في كتابه المعارف: إن أبا هريرة حدث عن نفسه فقال: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبسة

(١) عبد الرحمن عبد الخالق: الشورى في الإسلام، طبع بيروت (١٩٧٥).

بنت غزوان، على طعام بطني، وكنت أخدم إذا نزلوا، وأحدوا إذا ركبوا، وكُنيتُ بأبي هريرة بهرة صغيرة، كنت ألعب بها^(١)، وقد رافقت هذه الهرة بعد إسلامه، وكان قد تجاوز الثلاثين من عمره، لما رآه النبي يحملها في كفه، فقال له: يا أبا هريرة^(٢)!! ويحدثنا صحيح البخاري: إن أبا هريرة تحدث عن جوعه فقال: لقد رأيتني وإني لأخر صريعاً بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة، مغشياً عليّ فيجيء الجائي، فيضع رجله على عنقي، ويرى أنني مجنون، وما بي من جنون ما بي إلا الجوع^(٣) وأورد البخاري عن أبي هريرة أنه قال: كنت امرأً مسكيناً أصحب رسول الله على ملء بطني^(٤).

أبو هريرة يطلب لنفسه عطاءً ولغيره.. حرماناً:

قدم أبو هريرة على رسول الله بعدما انتهى من فتح خيبر وكان الرسول يوزع الغنائم على المحاربين الأبطال.. وإذا أبو هريرة يطلب من الرسول أن يعطيه من مغانم غزوة خيبر.. ثم قذفه خلقه في مهواة.. فإذا هو يطلب من الرسول: أن لا يعطي أبان بن سعيد بن العاص، فتوهج أبان غضباً، وقال له: أتطلب من رسول الله أن يمنعني، وقد شوتني المعركة بناها، وتطلب لك عطاء، ولم ترَ المعركة؟؟

(١) راجع ص ١٢٠ من كتاب المعارف، ط، ١٩٧٠.

(٢) راجع القاموس المحيط للفيروزابادي.

(٣) راجع الجزء التاسع من صحيح البخاري، صفحة ١٢٨ مطابع الشعب.

(٤) راجع باب الحرث والمزاعة، صفحة ١٤٣ من المجلد الثالث من الصحيح.

ثم نظر إليه بازدرأه وقال: واعجباً، لُوْبِرٌ^(١)، تدلى علينا من
«قدم ضأن»^(٢)!!

فأعطى النبي أبانا، ولم يُعْطِ أبا هريرة شيئاً^(٣).

أبو هريرة يشري من أموال الدولة.. فيجلده عمر، ويقول له: من
أين لك هذا؟؟:

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد: دعا عمر أبا هريرة، فقال
له: علمت أنني استعملتك على البحرين، وأنت بلا نعلين، ثم
بلغني أنك ابتعت أفراساً بألف دينار، وستمائة دينار.

- كانت لنا أفراس فتناجت، وعطايا تلاحقت.

- حسبت لك رزقك، ومؤونتك، وهذا فضل فأده.

- ليس لك ذلك.

- بلى، والله، وأوجع ظهرك، ثم قام إليه بالدرة، فضربه حتى
أدماه.. ثم قال: اثب بها.

- أحسبها عند الله.

- ذلك لو أخذتها من حلال، وأديتها، طائعاً.

ثم وبخه منكرأ ثراءه على حساب الشعب، فقال له: أجتت
من أقصى جحر في البحرين يجبي لك الناس، لا لله، ولا
للمسلمين^(١)؟؟ ثم لفه بنظرة ترشح بالهوان، وقال له: ما رجعت
بك سمية، إلا لرعي الحُمُر، وَقَبَضَ منه المال.. وأعاد له بيت
مال المسلمين، وعزله^(٢).

أبو هريرة يكذب نفسه، والرافعي يثبت: أن عمر، وعلياً وعثمان
وعائشة كذبوهم:

يقول صاحب الإصابة: إن أبا هريرة حدث عن نفسه فقال:
قدمت، ورسول الله بخير، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين
فأقمت معه حتى مات^(٣).

والصحيح الثابت أن أبا هريرة أسلم في صفر العام السابع
للهجرة، وأرسله النبي مع العلاء بن الحضرمي في شهر ذي
القعدة في العام الثامن للهجرة.

ويروي عنه ابن سعد في طبقاته أنه قال: بعثني رسول الله مع
العلاء بن الحضرمي، وأوصاه بي خيراً^(٤).

ثم لم يعد إلى المدينة إلا بعد وفاة الرسول بأعوام^(٥).

(١) راجع الجزء الأول من العقد صفحة ٣٤/، تحقيق محمد سعيد العريان،
مصر..

(٢) ولاء في العام الحادي والعشرين للهجرة، وعزله في العام الثالث والعشرين..

(٣) راجع الجزء السابع من الإصابة صفحة ٣٠٥.

(٤) راجع الجزء الرابع من طبقات ابن سعد صفحة ٧٧/.

(٥) راجع صفحة ٦٧/ من كتاب شيخ المضيرة لمحمود أبو رية.

(١) الوبر: حيوان يحجم القط من الخرطوميات (المنجد).

(٢) قدم ضأن: جبل في اليمن حيث تسكن عشيرة سليم بن فهم قوم أبي هريرة
ويقال: إنه اسم لرأس جبل.

(٣) محمود أبو رية: شيخ المضيرة، ص ٤٦/، طبعة ثالثة (دار المعارف في
مصر).

أما الرافعي صاحب إجاز كتاب القرآن فيقول في كتابه تاريخ الآداب العربية: كان أبو هريرة أكثر الصحابة رواية وقد صَحِبَ النبي ثلاث سنين... وَعُمِّرَ بعده نحواً من خمسين سنة ولهذا كان عمر، وعثمان، وعلي، وعائشة، ينكرون عليه، ويتهمونه بالكذب، وهو أول رواية اتهم في الإسلام، وكانت عائشة أشدهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه، إذ توفيت قبله بسنة^(١).
وابن عمر يكذبه:

جاء في كتاب جامع العلم لابن عبد البر ما يأتي: عن طاوس قال: كنت جالساً عند ابن عمر، فأتاه رجل، فقال له: إن أبا هريرة يقول: إن الوتر ليس بحتم، فخذوا منه، ودعوا. فقال ابن عمر: كذب أبو هريرة^(٢).

والإمام أبو حنيفة يكذبه ويرفض روايته:

جاء في المثل السائر: إن الإمام أبا حنيفة قال لتلميذه أبي يوسف: الصحابة كلهم عدول، ما عدا رجالاً وعد منهم أبا هريرة.

والجاحظ يقول: إن أبا هريرة ليس بثقة:

ذكر الجاحظ في كتابه المعروف بالتوحيد أن أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «ولم

(١) راجع تاريخ الآداب العربية للرافعي الجزء الأول، صفحة ٢٧٥، طبعة رابعة (١٩٧٤) ومات أبو هريرة سنة (٥٩ هـ) و صفحة ٢٧٨/ من شيخ المضيرة لأبي نبة.

(٢) راجع صفحة ١٥٤/ من الجزء الثالث من كتاب - جامع بيان العلم.

يكن علي عليه السلام يوثقه في الرواية، بل يتهمه ويقدم فيه وكذلك عمر وعائشة^(١).

والإمام الشيخ محمد عبده يقول عنه: إنه مختلق:

أورد السيد محمد رشيد رضا في كتابه تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: إن الشيخ محمد عبده قال: إن أبا هريرة اختلق من الأحاديث ما أرضى معاوية^(٢).

والعماد الحنبلي يتهمه بالتلون:

يقول العماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب: كان أبو هريرة يصلي خلف علي، ويأكل على سباط معاوية، ويعتزل القتال^(٣).

خلق جاهلي يتنزه عنه الإسلام:

رأينا أبا هريرة يقول - فيما سبق -: أنه كان أجيراً عند بسرة بنت غزوان^(٤)، ولكن عندما قفز معاوية إلى سدة الحكم أكرهت بسرة هذه أن تتزوج أبا هريرة.

ويورد ابن سعد في الجزء الرابع من طبقاته، في ترجمة أبي هريرة: إن أبا هريرة تحدث عن ذلك الزواج فقال: أكرت نفسي

(١) راجع، ابن أبي الحديد: شرح النهج المجلد الرابع، صفحة ٦٣٠/ طبع دار الفكر - بيروت ١٩٥٤.

(٢) راجع، محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده الجزء الثاني، صفحة ١٧٦/.

(٣) راجع العماد الحنبلي: الشذرات - الجزء الأول، صفحة ٦٤/.

(٤) بسرة بنت غزوان أخت القائد العربي عتبة الذي بنى البصرة.

من ابنة غزوان على طعام بطني، فكانت تكلفني أن أركب قائماً، وأورد حافياً، فلما كان بعد ذلك، وتزوجتها كلفتها أن تتركب قائمة، وتورد حافية.. وفي حديث آخر له: فأرحلتها كما أرحلتني.. الخ، أي أنه شرع يعاملها، وهي زوجته، كما كانت تعامله، وهو أجبر عندها، وذلك مخالف لمبادئ الإسلام... ولكنه أبو هريرة يطبق تحت راية القرآن، قواعد الجاهلية الأولى.

وآيات قرآنية زعموا أنها نزلت في أبي طالب:

يروى ابن سعد في طبقاته - الجزء الأول المذكور صفحة ١٢٣/ بإسناده إلى علي بن أبي طالب قال: «أخبرت رسول الله بموت أبي طالب، فبكى، ثم قال: «أذهب فغسله، وكفنه، وواره، غفر الله له».

قال: ففعلت ما قال، وجعل الرسول يستغفر له أياماً، ولا يخرج من بيته، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولي قربى ﴾ (التوبة: ١١٤).

ويأخذ برواية ابن سعد هذه مفسرو القرآن الكريم بلا تثبت ولا تحقيق علمي، نذكر منهم على سبيل المثال: محمد فريد وجدي في شرحه (المصحف المفسر).

قال وجدي: «نزلت هذه الآية لما قال النبي لعمة أبي طالب - وقد أبي عليه الإسلام - لا أزال أستغفر له، ما لم أنه، أما تفسير جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين بن عبد

الرحمن بن أبي بكر السيوطي فإنه يقول: «ونزل في استغفاره لعمة أبي طالب، واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين».

وبما أننا واثقون ثقة مطلقة أن كل ما قيل عن أبي طالب: إنه مات ولم يعتنق الإسلام، موضوع لإرضاء السلطة الحاكمة، والظفر بمكاسبها.. فقد رجعنا إلى كتاب الله نستوضحه عن الزمان والمكان اللذين نزلت فيهما الآية، فماذا وجدنا؟

يقول ابن سعد في الصفحة /١٢٥/ من طبقاته: «توفي أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين نبيء رسول الله»، إذن، فأبو طالب توفاه الله في السنة العاشرة للبعثة المحمدية، والمؤرخون مجمعون أن الرسول هاجر من مكة إلى المدينة في السنة الثالثة عشرة للبعثة، وهذا برهان واضح أن الرسول بقي في مكة، بعد وفاة عمه ثلاثة أعوام، فإذا وضعنا هذا في أذهاننا، ورجعنا إلى مجمع البيان في تفسير القرآن - للطبرسي، نجده يتحدث عن سورة التوبة فيقول: ﴿ وهي مدنيّة كلها ﴾؛ وقال بعضهم: «غير الآيتين الأخيرتين منها».

ثم يقول: نزلت سنة تسع للهجرة، وفتحت مكة سنة ثمان، وحج رسول الله حجّة الوداع سنة عشر، وقال قتادة، ومجاهد: «وهي آخر ما نزلت على النبي في المدينة» (راجع مجمع البيان: التوبة).

وعدنا إلى تفسير الجليلين، فإذا هو عين ما أورده الطبرسي - إنه يقول: «سورة التوبة مدنية إلا الآيتين الأخيرتين، فمكيتان وآياتها (١٣٠) نزلت بعد سورة المائدة.

ويقول تفسير الجليلين عن سورة المائدة: «إنها نزلت بعد فتح مكة» (راجع تفسير الجليلين: المائدة والتوبة).

بعدما كشفنا عن المكان والزمان اللذين نزلت فيهما آية: ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا. . . الآية، نكمل تحقيقنا العلمي فنقول: إن المدة بين وفاة أبي طالب، وبين نزول الآية اثنا عشر عاماً - ثلاثة منها قضاها الرسول بعد وفاة عمه في مكة وتسعة بعدما هاجر إلى المدينة، بينما تقول رواية ابن سعد: «وجعل رسول الله يستغفر لعمه أياماً، ولا يخرج من بيته حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾.

وتساءل بعد هذا: ما رأيي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؟

إننا لا نعلق بشيء بل نترك لأولي الألباب أن يقولوا: كلمة الفصل . . .

ورواية ثانية لابن سعد:

وينقل إلينا ابن سعد رواية ثانية هي الأخرى الافتراء مُجَسِّمًا، قال: «نزلت في أبي طالب آية: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (القصص: ٥٧).

قال الطبرسي في شرحه: مجمع البيان تعليقاً على ما أورده

من سَبَب نزول هذه الآية: «يروون عن ابن عباس^(١) وغيره أن النبي كان يُحب إسلام عمه أبي طالب وكان يكره^(٢) إسلام وحشي^(٣) قاتل الحمزة، فنزل فيه: ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ (الزمر: ٥٣)».

أي كلام هو هذا . . . ؟

أليست كلمة «التعجب» تافهة بالنسبة إليه . . . ؟؟

الرسول يُحبُّ أن يدخل عمه في الإسلام . . .

ويكره أن يدخل فيه وحشي . . .

والله لا يشاء أن تتحقق رغبة نبيه في إسلام عمه الذي رباه، وحماه من سيوف المشركين، وسقى غرسة الإسلام بجهاده الثائر

(١) ولد ابن عباس في العام الذي مات فيه أبو طالب، وقُبض الرسول وعمره عشر سنين، ومع ذلك يسندون الحديث لابن عباس وعلي ليوهموا الناس أن الرواية صادقة، بينما هي - كما تبين لك - اختلاقٌ صرف (راجع في ذلك: ابن حجر، الإصابات في التمييز بين الصحابة - حرف العين - القسم الأول، الجزء الثاني صفحة ٣٣٠/؛ وابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في هامش الإصابة صفحة ٣٥٠/ - الجزء الثاني، طبعة جديدة بالأوفست - مكتبة المنشي بغداد، طبعة أولى ١٣٢٨ هـ. وقرأ ما أورده صاحب مجمع البيان عند تفسير الآية (٥٦) من سورة القصص.

(٢) جاء في شرح الجليلين أن السورة مكية، ولكن الرواية جعلتها مدنيّة.

(٣) وحشي بن حرب ويكنى (أبا دسمة) من سودان مكة عبد لجبير بن مطعم، قتل حمزة، فأنتى النبي مسلماً، فقال له: «غيب وجهك عني، خرج إلى الشام، فنزل بجمص، كان يشرب الخمر، وهو أول من حُد بالشام في الخمر».

(المعارف).

فَتَأْمَلُ... واعجب.. واسكر عجباً(١) ..

ليس أتباع الهوى.. هو الذي أدى ويؤدي إلى هذه النتائج
التي تضطرب منها قلوب المؤمنين رُعباً..؟؟

* * *

حسبنا ما أوردناه من الآيات القرآنية التي زعموا أنها نزلت في
أبي طالب.. والتي أظهر البحث أن ذلك الزعم باطل الأباطيل.
نقول: حسبنا لنعود إلى الأحاديث الموضوععة لتقف معها وقفة
عقلانية متأنية.

أمام محكمة العقل...:

إن ما قدمناه من كتب التاريخ، والحديث عن حياة كل من

(١) وإذا كنت من الذين يتعشقون قراءة الطرائف فاقراً وتدليل، الله ورسوله لوحشي
هذا ليدخل في الإسلام..

قال السيوطي في أسباب نزول آية: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على
أنفسهم﴾ الآية، وأخرج الطبراني بسند فيه ضعف عن ابن عباس، قال:
بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه:
كيف تدعوني وأنت تزعم: أن من قتل، أو زنى، أو أشرك، يَلْقَى أَنَاماً. بضاعف
له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً وأنا صنعت ذلك، فهل تجد لي من
رخصة؟؟ فأنزل الله: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً﴾ الآية. فقال وحشي:
هذا شرط شديد: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً﴾ فلعلي لا أقدر على هذا.
فأنزل الله: ﴿إن الله لا يغير أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾
فقال وحشي: هذا أرى بعده مشيئة، فلا أدري أيعفر لي أم لا، فهل غير هذا؟؟
فأنزل الله: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله﴾ الآية، قال وحشي: هذا نعم، فأسلم.

(راجع لباب النقول في أسباب النزول: سورة الزمر ص ١٨٥/، طبعة
أولى سنة ١٩٧٨).

ونترك هذا بلا تعليق أيضاً.

حتى رست جذورها، وعلا فرعها.. وآمن بمحمد نبياً.. ودعا
قريباً والمرب ومليك الحبشة إلى الإيمان بنبوته.. وتَعَنَّى
بمحامده الرحمانية.. و.. و..

أبو طالب وهو هذا، لا يشاء الله له أن يدخل في الإسلام رغم
حب نبيه لذلك...

ولكنه ينزل قرآناً يرغب فيه وحشياً بالدخول في الإسلام،
وَيُسِّرُهُ برحمته...

وحشيُّ هذا هو الذي قتل عم الرسول الحمزة بن عبد
المطلب غيلةً في وقعة أحد.. وقد وصفه الرسول بأنه: أسد الله
وأسد رسوله فكيف هذا؟؟

هل يُصَدِّقُ مُسَلِّمٌ في هذا الكوكب الأرضي أن الرسول يريد
غير ما يشاء الله؟؟

وهل كان قلبُ الرسول يوماً إلأً وَكراً لإرادة ومشيئة الله؟؟

ماذا يقول علماء وأدباء المسلمين؟؟

بل ماذا يقولُ عامَّةُ المسلمين؟؟

ثم انظر كيف تَمَّ الجمع بين وفاة أبي طالب التي وَقَعَتْ قبل
الهجرة بثلاثة أعوام، وبين وحشي الذي اغتال الحمزة في غزوة
أحد في العام الثالث للهجرة؛ ولم يَدْخُلْ وحشي في الإسلام إلا
بعد غزوة الطائف - أي أن بين وفاة أبي طالب، وإسلام وحشي
إحدى عشرة سنة فقط.

المغيرة وأبي هريرة، يفتينا عن دراسة مفصلة لنفسيتيهما، وخلقيهما، لأن نفسية، وخلق كل منهما تبدو على وجهها الفطري، الأصيل، لا يسترها حجاب سياسي ولا تقليد أحق أورثنا إياه أهواء وتسلط الحكام.

وإنه ليهج الحق أن نعقد نقاشاً عقلاً مع الرجلين: المغيرة وأبي هريرة، حول ما نسباه من أحاديث إلى الرسول عن موت عمه أبي طالب كافرًا..

لقد أسلم المغيرة بعد مضي ثمانية أعوام على وفاة أبي طالب وأسلم أبو هريرة بعد تسعة أعوام من وفاته، وبديهي، أن أحداً منهما لم يحضر وفاة أبي طالب... إذاً من أين وصلت إليهما تلك الأحاديث؟؟

ولماذا لم يروها أحد من الصحابة كأبي بكر، وعمر، وعثمان، والزبير... و...؟؟

وهل يمكن أن تتكون قناعة عند مخلوق سوي أن يخص الرسول المغيرة، وأبا هريرة أو غيرهما بأحاديث تشهد على عمه أبي طالب بالكفر، بعد مرور تسعة أعوام على وفاته؟؟

لقد وصف الله رسوله بأنه كان يستحي أن ينهى الذين يدخلون بيته بلا استئذان، منتظرين نضج الطعام، وبعدما يأكلون يظلمون في البيت يتحدثون..

كان، صلى الله عليه وآله، يستحي أن ينههم عن ذلك، مع أنه كان يؤذيه أذى عميقاً، فأنزل الله الآية التالية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين

إنه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق... ﴿ الآية.

فهل يصدق أحد في هذه البسيطة ما ينسبونه إليه عن عمه أبي طالب، وعمه هو الذي حرك دنيا العرب بشعره داعياً إلى نبوة محمد، وإلى الإسلام، ومحمد هو الذي كان يستحي أن ينهى الناس عن أذاه^(١)؟؟

لقد زرع أبو طالب جذور الشرك والظلم في قريش حين قال لابن أخيه محمد:

أنت النبي مُحَمَّدُ قَرَمٌ أَعْرُ مُسَوِّدٌ
ما زلت تنطق بالصواب، وأنت طفلُ امرئٍ
ورأت الحواضر، والبوادي شعر أبي طالب يسبح فيها دفقاً من العبير:

ألم تعلموا، أنا وجدنا محمداً
نبياً، كموسى، خط في أول الكتب؟؟

وقوله عنه:

نبي، أتاه، الوحي من عند ربه
ومن قال: لا، يقرع بها سن نادم

وقوله:

(١) قال أبو سعيد الخدري: وكان رسول الله أشد حياة من العذراء في خدرها (راجع صحيح البخاري - الجزء الرابع صفحة ٢٣٠ / مطابع الشعب).

منعنا الرسول رسول المليك-

بيض، تلالا، كلمع البروق
أذود، وأحمي، رسول المليك
حماية حام، عليه شفيق^(١)

وقوله:

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمد
من خير أديان البريَّة دينا

وقوله لملك الحبشة:

تعلم ملك الحبش أن محمداً
نبي كموسى، والمسيح بن مريم
وانكم تتلونونه في كتابكم
بصدق حديث، لا حديث المرجم

ثم يدعو ملك الحبشة إلى الإسلام فيقول له:

فلا تجعلوا لله نداً، وأسلموا

فإن طريق الحق ليس بمظلم. الخ

هل يصدق واحدٌ في الأرض أن محمداً يقذف بالكفر من يقول
هذا القول؟؟

إن رسول الله محمد يعلم، وكل مسلم يعلم، أن النضال
الدائب الذي اصطلق ناره أبو طالب، هو الذي رَبَّى الإسلام،

(١) كان المأمون الخليفة العباسي يردد هذين البيتين في مناسبات كثيرة ويقول حين
يفرغ من قراءتها: أسلم أبو طالب والله.

وحفظ له حياته، وكتب له البقاء على مرِّ الدهور.

وإن محمداً صلى الله عليه وآله عاش نضال عمه وتضحياته في
الشعب وغير الشعب، وعرفه مؤمناً نقي العقيدة.

محمد عرف ذلك كله، ولذلك بكى عمه حين رحل عن هذا
العالم، وقال له: «لأشفعنُ لك شفاعَةً يتعجب بها الثقلان أعود
فأقول: هل يصدق أحد في الدنيا - على سعة الدنيا، وامتداد عمر
الدنيا، إن محمداً الذي عاش في كنف عمه، وخبر إخلاصه
وجهاده في سبيل نشر دعوته الإلهية، يجيء بعد ثمانية، أو تسعة
أعوام، من وفاة عمه ليخص المغيرة، وأبا هريرة، أو غيرهما،
بأحاديث تكفر عمه أبا طالب، وعمه، هو الذي كان يُضجع ولده
عليّاً في فراشه ليقتل، وَيَسْلَمَ محمد^(١)؟؟»

* * *

قال ابن سعد في الطبقات: قال رسول الله لعقيل بن أبي
طالب: «يا أبا يزيد!! إني أحبك حُبَّين: حُباً لقربانتك، وحُباً لما
كنت أعلم من حب عمي إياك»^(٢).

هكذا يتجلَّى حب الرسول صلى الله عليه وآله ووفاءه لعمه بعد
موته: إنه يُحِبُّ عقيلاً لأن أبا طالب كان يحبه، فهل ثمة تقدير
وحب أسمى من هذا الحب؟؟

محمد رسول الله صلى الله عليه وآله يحب عقيلاً لأن أباه كان يحبه..

(١) ابن أبي الحديد: شرح النهج. المجلد الثالث المذكور صفحة /٤٦٣/.
(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى - المجلد الرابع، صفحة /٤٤/ طبع دار صادر -
بيروت وغيره.

ترى، هل يحب الرسول رجلاً مات على الشرك؟؟

ماذا يقول الضمير الإسلامي الطاهر؟؟

ولماذا لم يعب معاوية عدو علياً بكفر أبيه؟؟

لقد عار عليّ معاوية بأنه طليق ابن طليق، وأنه هو وأبوه من المؤلفلة قلوبهم، وأن أبا طالب أفضل من أبي سفيان. لنقرأ هذا الكتاب الذي بعث به علي عليه السلام إلى معاوية:

«وأما قولك: إنا بنو عبد مناف، فكذلك نحن، ولكن، ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالدغل، ولبس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم، وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللتنا بها العزيز، وأنعشنا بها الذليل.. الخ»^(١).

لو صحَّ ما قاله واضعو الأحاديث، فكيف يسكت معاوية عن الرد على الإمام؟؟

لماذا لم يقل له - بعد هذا التحدي - أبي مسلم، وأبوك مات غير مسلم؟؟

نعم، طاطاً معاوية رأسه للتحدي لأنه لا مطعن عنده على أبي طالب.

ثم، لماذا لم تظهر تلك الأحاديث، إلا في عهد معاوية، وبعد غيبة الإمام علي بن أبي طالب؟؟

(١) راجع ابن أبي الحديد شرح النهج - المجلد الأول، صفحة /٤٨٨/ طبع دار الفكر - بيروت ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م.

وبعد، فإننا لو صرفنا النظر عن نفسية الرجلين: المغيرة وأبي هريرة، لكان ما أوردهما كافياً لإثبات اختلاقيهما الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله تشهياً لمتاع معاوية..

ومعاوية يكافئهما فيغمسهما في لعاب دنياه:

لمس معاوية فيما وضعه المغيرة وأبو هريرة من أحاديث^(١) سنداً معنوياً فذاً، لسياسته الجاهلية الأموية فدلاهما في بحر من الشهوات التي إليها يطمحون.

ونظر الرجلان كلاهما إلى نفسه، فإذا الأحلام الطائرة في اغتراف الملذات البدنية تتجسد واقعاً عجيباً.. إذا المغيرة والـ على الكوفة، ينفذ سياسة معاوية.. نقطة.. نقطة ويفعل ما يشاء..

أما أبو هريرة، فقد بنى له معاوية قصرأ بالعقيق في المدينة المنورة وأقطعه أرضاً واسعة وزوجه من بسرة بنت غزوان وكان يتولى إمارة المدينة بين حين وآخر. ووفى له معاوية بعد موته: فكتب إلى والي المدينة عتبة ابن أبي سفيان أن يدفع لورثة أبي هريرة عشرة آلاف درهم من بيت مال المسلمين^(٢)..

مقارنة خاطفة، فاضحة....:

عبادة بن الصامت أحد النقباء الذين اختارهم رسول الله وأبو ذر الغفاري الذي قال عنه رسول الله: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر، هذان الصحابيان، الجليلان، هذان الكوكبان النيران يطردهما معاوية من دمشق أما حجر بن

(١) وغيرهم، ولكن، وقفنا عندهما لأنهما أعلى كماً عند معاوية من الجميع.
(٢) راجع صفحة /٢٦٤/ من كتاب شيخ المضيرة لمحمود أبو رية المصري.

عدي الذي يستوي مع عبادة، وأبي ذر، شرفاً وسمواً، فقد قتله معاوية قتلاً... .

معاوية يقتل حجراً، ويطرد أبا ذر، وعبادة بن الصامت من دمشق، في حين يجعل من المغيرة والياً على الكوفة، ومن أبي هريرة والياً على المدينة ويروي دنياهما من أموال المسلمين بصافي المسرات، وهما من عرفنا... .
تري لماذا فعل معاوية هذا؟^(١)

إن التاريخ يعطينا جواباً على هذا السؤال فيقول: إن النقيب عبادة بن الصامت الأنصاري، وأبو ذر الغفاري وحجر بن عدي... كانوا من المجاهدين، الذين يفخر الجهاد ببطولاتهم جاهدوا لأجل إضاءة الكون بعقائد الإسلام، وتشريعاته وتعاليمه... وقد ظل الجهاد لهم رفيقاً، بعدما تركوا السيف جهاد تركية العقول، وتلقيحها بمبادئ الإسلام. لقد أعطوا رسالة السماء حقها شباناً وشيباً، حتى فنوا في ذات الإسلام، قوم هؤلاء هم يغضب عليهم معاوية، فيطرد... ويقتل، لماذا؟ لأن دهاءه، الناعم، المرن، لأن أمواله الجمّة، لم تفتح له درباً إلى قلوبهم المؤمنة ليكسبها... لأنهم أبوا أن ينحرفوا عن مبدأ نبهم، ومعلمهم الأكبر محمد رسول الله، لذلك فعل معهم ما فعل.

(١) قال الحسن البصري في معاوية: أربع خلال في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة: خروجه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها بغير مشورة منهم، واستخلافه يزيد وهو سكير خمير يلبس الحرير ويضرب الطنابير، وادعائه زياداً وقد قال النبي: الولد للفراش، وللعمار الحجر، وقتله حجر بن عدي فيا وبه من حجر وأصحاب حجر (راجع: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ج ١، ص ٩٩/ ط، بيروت).

أما المغيرة، وأبو هريرة، وعمرو بن العاص، الذين لا سبق لهم إلى الإسلام، ولا جهاد في سبيله... فقد أقبلوا إلى معاوية واستقاموا له كما شاء فأخذهم أحبباً ملء الأحضان وتقبلهم قبولاً حسناً، وسقاهم من معين الشهوات التي يريدونها نهلاً. وعلاً، ولا عجب في ذلك فالأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

صحاييان في مختبر الإسلام:

سلمان الفارسي قدم إلى مدينة الرسول من بلاد فارس، باحثاً عن الجمال الروحاني، فوجده عند نبي الهدى محمد فأسلم. وأبو هريرة جاء في وفد من اليمن مع بعض قومه فأسلم. كلاهما: سلمان، وأبو هريرة من أهل الصفة وكلاهما، كان حين أسلم فقيراً، محروماً كما تروي كتب السيرة، ولكن سلمان رفض مناعم الدنيا حينما سعت إليه بينما سمى أبو هريرة وراء الدنيا، وأغرّق نفسه في متاعها. يروي هشام بن حسان عن الحسن فيقول: كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان إذا خرج عطاؤه يتصدق به، ويأكل من كسب يده، وكان له عباءة يفرش بعضها، ويلبس بعضها... وقد ذكر ابن وهب، وابن نافع، أن سلمان لم يكن له بيت إنما كان يستظل بالجدر، والشجر وأن رجلاً قال له: ألا أبيتاً تسكن فيه؟

قال: لا حاجة لي، في ذلك... فما زال به الرجل حتى قال له: أنا أعرف البيت الذي يوافقك.
- فصفه لي.

- ابني لك بيتاً إذا قمت فيه أصاب رأسك سقفه، وإن مددت به رجلك أصابهما.

قال: نعم.

فبنى له^(١).

هكذا يختار سلمان، بعد غياب الرسول حياة تابعة من حياة الرسول.. حياة توائم صفاء روحانيته، فدل، بذلك دلالة قطعية أنه من أصحاب رسول الله في الدنيا، والآخرة... وأنه حق ما قال رسول الله فيه: سلمان منا أهل البيت^(٢).

وأبو هريرة ماذا فعل؟؟

لقد اختار التكسب بما اختلقه من أحاديث عن الرسول فأرضى معاوية، وأرضاه معاوية، فأسأل له اللذ من المضيرة وأسكنه قصرأ فخماً، وكساه الديباج المزور، وأقطعه الأرض، فكان صاحباً لرسول الله على ملء بطنه وصاحباً لمعاوية، على تخمة حواسه، وبطنه.. لشتان ما بين الحياتين، حياة الروح المنزهة عن الرجس التي عاشها سلمان، وحياة شهوات الجسد التي تمرغ فيها أبو هريرة.. سلمان بقي مع رسول الله، وأبو هريرة انضم إلى الفئة

(١) راجع صفحة ٣٠٥/ ٣٠٦ من المجلد الرابع من شرح النهج لابن أبي الحديد، ط، ١٩٥٤.

(٢) يقول أحمد أمين المصري في كتابه «فجر الإسلام» صفحة ١٥١/، طبعة عاشر: كان لسلمان الفارسي علم بديانات مختلفة، ولعل هذا ما عناه علي بن أبي طالب بقوله فيه: من لكم بمثل لقمان الحكيم، علم العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر وكان بحراً لا يتزف.

الباغية^(١) والله أعلم حيث يجعل رسالته.

وإذا كانت وقفنا مع المغيرة، وأبي هريرة، ومن تضمه دائرتهم، قد اتسمت بالقصر، فإن لنا وقفة مثلها مع ابن أبي الحديد المعتزلي المذهب، شارح نهج البلاغة.

يقول ابن أبي الحديد، بعدما أورد حجج الذين يقولون بإيمان أبي طالب.. وحجج الذين يقولون: إنه مات كافراً^(٢) يقول: أما أنا، فإن الحال ملتبسة عندي، والأخبار متعارضة والله أعلم بحقيقة حاله كيف كانت؟؟

ويقول أيضاً: وجملة الأمر، أنه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة، ورُوي في موته على دين قومه أخبار كثيرة فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيتين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقف، فأنا في أمره من المتوقفين.

ولماذا يتوقف ابن أبي الحديد عن الجزم بإيمان أبي طالب؟؟، لنسمعه يقول مبيناً السبب: إذا تعارضت البيتان عند الحاكم اقتضى التوقف.

إذاً، فتعارض البيئات هو الذي أملى عليه أن يتوقف.. ونحن نقول: إننا لو أخذنا بمنطقه.. لأضعنا قيم جميع عباقرة الإنسانية. أي نبي؟؟ أي مصلح اجتماعي؟؟ أي فيلسوف

(١) الإمامان: الشافعي وأحمد بن حنبل بسميان معاوية ومن معه (أهل البغي). راجع صفحة ٢٥٣ من الجزء الثاني من تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة - الأزهرى، طبع دار الفكر - بيروت.

(٢) راجع صفحة ٤٧٢/ من المجلد الثالث من شرح النهج لابن أبي الحديد. ط. ١٩٥٤.

لاهوتي، لم تتعارض فيه أقوال الناس بين مكذب، ومصديق؟؟
 اللهم، لا أحد، وهذا برهان ساطع على إسقاط حجة ابن أبي الحديد . .
 إن الحاكم النزيه، عندما تتعارض عنده الأقوال في شخصية
 ما . . يأخذ بدراسة تلك الشخصية، منبثاً، وأخلاقاً، وفكراً
 وسلوكاً ومبادئ، وعقائد، ومدى توافق تلك الشخصية وانسجامها
 مع المعارف الفاضلة التي بشرت بها ودعت إليها . . ثم يدرس
 الأشخاص الذين أدت شهاداتهم إلى خلق التعارض . . والغرض الذي
 ألزمهم بتلك الشهادة . . ومن هذه الدراسة الواعية يستخلص
 زُبْدَ الحقيقة، ويقدمه للتاريخ حُكماً يتلألأ بنور الحق والعدالة . .
 هكذا يفعل الحاكم العادل، عندما تتعارض البيّنات عنده ولا
 يفعل كما فعل ابن الحديد الذي رأى التوقف . . .

فإذا سرنا على مبدأ تحقيق دراسة الحاكم النزيه ظهر لنا أن
 شخصية أبي طالب سنام المحامد . . . فهو، في أقواله وأفعاله،
 ومنبته ومبادئه كوكب بشري يتوقد صدقاً وإيماناً .

يبقى الأشخاص الذين أدلوا بالشهادات التي تخلق التعارض،
 إننا إذا درسنا الأشخاص الذين رووا أحاديث عن رسول الله : إن
 أبا طالب مات كافراً، نراهم - وعلى رأسهم المغيرة وأبو هريرة -
 من جنود معاوية . . وقد اعترف ابن أبي الحديد: إن معاوية أمر
 بوضع أحاديث عن رسول الله تقوي من بنيان سلطانه، وتحط من
 شأن علي وآل محمد^(١) .

(١) راجع صفحة /٤٧٢/، من المجلد الثالث من شرح النهج، ط، ١٩٥٤ .
 ويقول الأستاذ محمود الشرقاوي: «وبلغ التفاف بهذا الفر من علماء المسلمين
 إلى وضع الأحاديث الشريفة في مدح بني أمية، وذم بني أبي طالب ثم يقول: =

وقد رأينا فيما مضى من هو المغيرة، ومن هو أبو هريرة،
 وأوضحنا أن جميع الذين اتهموا أبا طالب بالكفر، إنما كانوا
 مرتزقة يختلقون الأحاديث تقرباً إلى معاوية، ليطمعوا من عسيلة دنياه .

أما إذا أخذنا بدراسة الأشخاص الذين شهدوا بإيمان أبي
 طالب فإننا نراهم يتفياون ظلّال سدره المنتهى: خلقاً وصدقاً
 وإيماناً . .

إننا نرى على رأسهم: رسول الله وعلياً وأبا بكر . . و . .

فبأي الشهادات نأخذ؟؟

أناخذ بشهادة: المغيرة، وأبي هريرة، وشرذمتها . . أم نأخذ
 بشهادة رسول الله وعلي وأبي بكر؟؟

ترى، هل غابت هذه الحقائق عن ابن أبي الحديد عندما
 اعتمد التوقف؟؟ أم كان يرمي إلى التشكيك، والمغالطة، لأمر
 خفي، لا نعلمه . . . في الواقع، إنه لا يهمنا إذا كان عمله تشكيكاً،
 أو مغالطة، أو تقصيراً في الدراسة، بعدما أثبتنا أن حجته
 داحضة، ساقطة أما، وقد عرضنا شيئاً من «بضاعة» مرتزقة
 معاوية، في أبي طالب، فإن عدالة البحث تفرض علينا، أن نقدم
 ما قاله أنصار الله في أبي طالب، نأخذ ذلك عن ابن أبي الحديد
 نفسه .

قال رسول الله: أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة (وأشار

= وهكذا كثرت الأحاديث الموضوعة .

راجع: علي إمام المتقين - الجزء الثاني، ص /٢٣٢/
 الناشر: مكتبة غريب - مصر

وأورد العلامة الشيخ سليمان القندوزي - الحنفي المذهب في الجزء الأول من كتابه ينابيع المودة (الباب الثاني والخمسون)^(١) عن أبي عثمان بن بحر الجاحظ البصري المعتزلي صاحب كتاب البيان والتبيين ما يلي:

«قال الجاحظ: «إن الخصومات نُقصت العقول السليمة، وأفسدت الأخلاق الحسنة من المنازعة في فضل أهل البيت على غيرهم فالواجب علينا طلب الحق وأتباعه، وطلب مراد الله في كتابه، وترك التعصب والهوى، وطرده تقليد السلف، والأساتيد، والآباء، واعلم أن الله لو أراد أن يسوي بين بني هاشم وبين الناس لما اختصهم بسهم ذوي القربى، ولما قال: «وأندر عشيرتك الأقربين» وقال: «وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون».

فإذا كان لقومه ما ليس لغيرهم، فكل من كان أقرب إلى النبي كان أرفع قدراً؛ ولو سؤاهم الله بالناس لما حرم عليهم الصدقة، وما هذا التحريم إلا لكرامتهم على الله وطهارتهم؛ ولهذا قال علي عليه السلام على منبر الجماعة: «لا يقاس بنا أحد من الناس».

وَمَنْ يَقَاسُ بِقَوْمٍ مِنْهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالْأَطْيَافِ: عَلِيٌّ وَفَاطِمَةٌ، وَالسَّبْطَانُ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ؛ وَالشَّهِيدَانُ: أَسَدُ اللَّهِ حَمْزَةُ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ؛ وَسَيِّدُ الْوَادِي وَمَطْعَمُ الطَّيْرِ: عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَسَاقِي الْحِجَاجِ عَبَّاسٌ، وَحَامِي حَمِي النَّبِيِّ، وَمَعِينُهُ، وَمُحِبُّهُ أَشَدُّ حُبِّ، وَكَفِيلُهُ، وَمُرَبِّيه، وَالْمَقْرُ

(١) راجع صفحة ١٥١/ منشورات الاعلمي - بيروت.

بإصبعيه السبابة والوسطى)، يريد بذلك عمه أبا طالب الذي كفله يتيماً^(١).

وقال علي: ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا^(٢).

وجاء في مجلة «نهج الإسلام» التي تصدرها وزارة أوقاف دمشق عدد ٢٢/ ص ١٠٠/ العام ١٩٨٥ أن علياً قال: كان والله أبو طالب عبداً من عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتفئ إيمانه مخافة علي بن هاشم أن تنابذها قريش» اهـ.

وقال الخليفة الأول أبو بكر الصديق للرسول حينما جلب والده أبا قحافة ليدخل في الإسلام: أما والذي بعثك بالحق، لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام عمك أبي طالب مني بإسلام والذي التمس بذلك قرة عينك^(٣).

ويقول القاضي عياض الأندلسي في كتابه «الشفاء»: «وروي عن أبي بكر أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله^(٤)، والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه - يعني أباه أبا قحافة - وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر^(٥) لعينك»^(٦).

(١) راجع صفحة ٤٦٦/ من المجلد الثالث من شرح النهج، ط، ١٩٥٤.

(٢) راجع صفحة ٤٦٥/ من المصدر السابق.

(٣) راجع المصدر السابق نفسه.

(٤) قال محققو الكتاب: لما أسلم والده أبو قحافة، كما رواه ابن عساکر في تاريخه عن ابن عمر.

(٥) أقر من القرو هو البرد لأن دمع السرور بارد، ودمع الحزن حار، أو من القرار، وهو الثبات، لأن العين إذا رأت ما يسرها سكنت.

(٦) راجع - الشفاء - الجزء الثاني، صفحة ٥٠/ تحقيق ففة من الأساتذة - إصدار مكتبة الفارابي - ومؤسسة علوم القرآن - دمشق.

بنبوتة، والمعترف برسالته، والمنشد في مناقبه أبياتاً كثيرة شيخ قريش أبو طالب، اهـ.

وسئل علي بن الحسين (زين العابدين) عما نسبته مختلفو الأحاديث عن موت أبي طالب على الكفر فقال:

وا عجباً!!! إن الله تعالى نهى رسول الله أن يقر مسلماً على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد، من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات^(١).

وسئل الإمام الباقر عما يقوله الناس: إن أبا طالب في ضحضاح من النار، فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة أخرى لرجح إيمانه^(٢).

وقال الإمام الصادق: «إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف، أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين»^(٣).

وقرأ أبان بن محمود - وهو شيعي - الأخبار التي وضعها «مرتزقة معاوية» عن أبي طالب، فهاله ذلك، فكتب إلى الإمام علي الرضا: جعلت فداك، إني شككت في إيمان أبي طالب.

فكتب إليه الإمام الرضا:

(١) هذه حجة مصدرها التشريع الإسلامي، يقول عبد العزيز سيد الأهل في كتابه «أبو طالب عم النبي»، في الصفحة ٩٥/ وحرّم الدين الجديد المشركة على المسلم، والمشرک على المسلمة - الكتاب طبع القاهرة.

(٢) راجع صفحة ٤٦٥/ من المجلد الثالث من شرح النهج.

(٣) راجع البحراني: البرهان في تفسير القرآن: النساء آية (١٧).

«وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا».

وكتب إليه بعد الآية: «إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار»^(١).

وقال ابن تيمية: «إن ما يروونه عن علي: أن أعرابياً صلّى، ونقر صلاته، فقال علي: لا تنقر صلاتك.

فقال الأعرابي: «لو نقرها أبوك لما دخل النار»، هذا كذب»^(٢).

وقال صاحب «البيان» في تفسير القرآن: «لقد آسى أبو طالب رسول الله وذنبٌ عنه ما دام حياً، فالأصح أنه من الذين هداهم الله للإيمان كما سبق في المجلد الأول»^(٣).

ويروي العلامة الشيخ سليمان القندوزي الحنفي المذهب في الجزء الثاني من كتابه (ينابيع المودة) أن العباس بن عبد المطلب قال: «لما ولدت فاطمة بنت أسد علياً سمّته باسم أبيها «أسد»، ولم يرّض أبو طالب هذا الاسم، فقال: «هَلُمَّ حَتَّى نَعْلُوَ أَبَا قَبِيْسٍ لَيْلًا وَنَدْعُو خَالِقَ الْخَضْرَاءِ لَعَلَّه يَنْبِئُنَا بِاسْمِهِ».

فلما أمسيا خرجا، وصعدا أبا قبيس، ودعوا الله تعالى، فأنشأ أبو طالب شعراً:

(١) ابن أبي الحديد: شرح النهج المذكور، المجلد الثالث صفحة ٤٦٥/.

(٢) ابن تيمية: الفتاوى - المجلد الثاني، صفحة ٢٣٣/ طبع دار المعرفة - بيروت.

(٣) راجع روح البيان في تفسير القرآن - سورة يوسف الآية ٥٤/.

يا رب هذا أَلْعَسَقِ الدجِي
والفلق المنبلج المضي
بَيْنَ لنا من أمرك المقضي
بما نُسَمِّي ذلك الصبي

فإذا حَشَحَشَتَهُ من السماء، فرفع أبو طالب طرفه، فإذا لوحٌ مثل
زبرجد أخضر فيه أربعة أسطر، فأخذه بكلتا يديه، وَضَمَّهُ إلى
صدره ضمًّا شديدًا فإذا مكتوب:

خُصِّصْتُمَا بالولد الذكي
والظاهر المنتجب الرضي
واسمُهُ من قاهر علي
علي، مَشْتَقٌّ من العلي

فَسُرُّ أبو طالب سروراً عظيماً، وَخَرَّ ساجداً لله تبارك وتعالى،
وَغَمَّ بعشرٍ من الإبل وكان اللوح مُعَلَّقاً في بيت الله الحرام يفخر
به بنو هاشم على قريش، حتى غلب الحجاجُ «ابن الزبير» اهـ^(١).
وعلماء محققون قالوا صواباً:

قرأ العلامة «البرزنجي» وصية أبي طالب الأخيرة لقريش التي
قال فيها: «دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولأهله والله لا
يسلك سبيله أحد إلا أرشد، ولا يأخذ أحدٌ بهديه إلا سعد».

وقرأ وصيته لبني هاشم التي جاء فيها: «يا معشر بني هاشم،

(١) راجع الشيخ سليمان القندوزي الحنفي المذهب بتابع المودة، الجزء الثاني (باب
المودة الثامنة في أن رسول الله وعلياً من نور واحد) صفحة ٧٩ - ٨٠، منشورات
الأعلمي - بيروت.

اطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا».

فقال: «بعيدٌ جداً أن يعرف الرشاد في إتباعه، ويأمر غيره
بذلك، ثم يتركه هو»^(١).

مفتي الشافعية في مكة:

وَيُعَلِّقُ مفتي الشافعية بمكة المكرمة على كلمات البرزنجي
فيقول: «هذا المسلك الذي سلكه العلامة السيد محمد بن رسول
البرزنجي في نجاته أبي طالب، لم يسبقه إليه أحد، فجزاه الله
أفضل الجزاء، ومسلكه هذا الذي سلكه يرتضيه كل من كان
مُتَّصِفاً بالإِنصاف من أهل الإيمان، لأنه ليس فيه إبطال شيء من
النصوص، ولا تضعيف لها، وغاية ما فيه أنه حملها على معانٍ
مُستحسنة يزول بها الإشكال، ويرتفع الجدل، ويحصل بذلك
قوة عين النبي، والسلامة من الوقوع في تنقيص أبي طالب أو
بغضه فإن ذلك يؤذي النبي، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) روى أنس بن مالك أن أعرابياً جاء الرسول يشكو جذب بلاده بسبب قلة
المطر، فدعا الرسول ربه فقال: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً سمحاً» فأنزل الله
الغيث. فقال: «لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه من يشدنا شعره؟؟»
فقال علي: كأنك أردت قوله:

وأبيض يستقي العمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال: نعم، فأنشده علي أبياتاً من القصيدة، ورسول الله يستغفر لأبي
طالب، ويعلق «البرزنجي» على فرح الرسول بشعر أبي طالب قائلاً: «وما ذلك
إلا لسر وفر في قلبه من تصديقه بنبوته وعلمه بكلماته» (راجع الماوردى:
أعلام النبوة، ص ٧٧/ + أسنى المطالب، ص ١٥/ والسيوطي: شواهد
المعني، ص ١٣٦/).

يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة، وأعد لهم عذاباً
اليماً ﴿١﴾. وقال تعالى: ﴿والذين يؤذون الله ورسوله لهم عذاب
اليم﴾ (١).

والإمام أحمد الموصلي الحنفي المذهب يقول:
أما الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المذهب
المعروف بابن وحشي فإنه يقول: «إن مبغض أبي طالب كافر» (٢).
والإمام الجهوري والتلمساني يقولان:

وقال العلامة الإمام علي الأجهوري في فتاويه، والتلمساني في
حاشيته، وكلاهما مالكي المذهب، قالوا: «لا ينبغي ذكر أبي
طالب إلا بحماية النبي، لأنه حماه ونصره بقوله وفعله؛ وفي ذكره
بمكروه أذية للنبي، ومؤذي النبي كافر، والكافر يُقتل، وقال أبو
الطاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافر» (٣).
أبو طالب يكتم إيمانه
وقال الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي:

«على أن أبا طالب كتم إسلامه إثارةً للسلامة، ولكيلا يصطدم
بشراسة الملأ من قريش» (٤).

(١) راجع أسنى المطالب ص / ٣٣.

(٢) راجع شرح الموصلي على الكتاب المسمى شهاب الأخبار لمحمد بن سلامة
القضاي (ت ٤٥٤).

(٣) راجع فتاوى الأجهوري والتلمساني في حاشيته على كتاب الشفاء + الغدير
للأمني، الجزء السابع المذكور، ص / ٣٨١. أقول: قال هؤلاء العلماء ما
قالوا في أبي طالب فكيف لو أدركوا يقيناً أن الأحاديث التي قرؤوها عن أبي
طالب موضوعة لأغراض سياسية..

(٤) راجع الجزء الأول من كتابه (علي إمام المتقين، ص / ١٥ / طبع مصر - مكتبة
غريب.

ومع ابن أبي الحديد ثانية:

نكتفي بما قدمناه عن إسلام أبي طالب وإيمانه، من حقائق
مكتنزة بالنقل.. رضى العقل.. لننصرف إلى تسجيل سقطة ثانية
على ابن أبي الحديد، وهذه السقطة الفاحشة هي: أنه يثبت
الكفر على آباء الرسول صلى الله عليه وآله يُنضخ إليه يقول:
«نقل الناس كافةً عن رسول الله أنه قال: «نقلنا من الأصلاب
الطاهرة إلى الأرحام الزكية فَوَجَبَ بهذا أن يكون أبأوه كلهم
مُنزَّهين عن الشرك، لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا
طاهرين.. الخ».

هذه الحجَّة أوردها عن الذين يعتقدون بإيمان آباء الرسول؛
ولكن ابن أبي الحديد يرى هذه الحجَّة خطأً صافياً، لذا يرد
عليهم فيقول: «إن المراد من قوله: نُقلنا من الأصلاب الطاهرة
إلى الأرحام الزكية، تنزيه آباءه وأمهاته عن السفاح لا غير».

ذلك هو حكم ابن أبي الحديد، ونحن نقول له: إن للرسول
حديثاً آخر يثبت أنه لم يخرج من سفاح، قال صلى الله عليه
وآله: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح».

وهذا يلزم، حكماً، أن يكون معنى قول الرسول: نقلنا من
الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية: إن آباءه، وأمهاته، منزَّهون
عن الشرك.. وإنه ليغنيننا، عن التنقيب، والاستقراء لبيان فساد
حكم ابن أبي الحديد، البحث الموضوعي الذي كتبه السيد عبد
الرحمن الجزيري، صاحب كتاب الفقه على المذاهب الأربعة،
في هذا الشأن، لأنه يعتبر رداً قاطعاً على ابن أبي الحديد وغيره.

وانصر على آل الصليب، وعابديه، اليوم، آلك
ثم تسأل: فهل هذا الكلام، كلام وثني يعبد الصنم؟؟ أو
كلام مخلص لربه؟؟

وبعدما يتكلم عن عصر الفترة، وأجداد النبي يخلص إلى
القول: وبعد: فلم يثبت أن آباء النبي كانوا مشركين، بل ثبت
أنهم كانوا موحدين، فهم أطهار مقربون، ولا يجوز أن يقال: إن
أبوي النبي كافران على أي حال، بل هما في أعلى فراديس
الجنان^(١).

* * *

يرى السيد الجزيري في قول عبد المطلب:

لاهم!! إن المرء يمنع رحله، فامنع رحالك

كلام موحد، مخلص لربه، وهذا، حق، وصدق.

ولكن بصيرة ابن أبي الحديد، وغيره من «أبطال ورثة التعصب
الأموي» تعشى عن رؤية الإيمان في قول أبي طالب:

ألم تعلموا، أنا وجدنا محمداً

نبياً كموسى، خط في أول الكتب؟؟

ولا في قوله:

فخير بني هاشم أحمد

رسولُ الإله على فترة

(١) راجع من الصفحة /٢٠٨/ إلى الصفحة /٢١٣/ من المجلد الرابع، آخر باب
النكاح، من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري.

قال: إن أجداد النبي كانوا مسلمين، لا مشركين، لأنهم كانوا
يعبدون الله على شريعة إبراهيم، وليس نقل هذا القول مقصوداً
على الرفضة. فقط، كما نقله بعض الفقهاء، عن أبي حيان، في
تفسير قوله تعالى: وتقلب في الساجدين، وعلى فرض نقله عنهم
وحدهم، فإنه لا يضر بالموضوع، لأنهم نقلوا مسألة تاريخية
يؤيدها العقل، والمنطق السليم..

ثم تابع يقول:

ويدل لذلك، ما ورد من أن نور النبي، كان ينتقل في
الأصلاب، والأرحام الطاهرة، حتى وصل إلى عبد الله، وأمنة،
وقد نص الله تعالى على أن الشرك نجس، قال الله تعالى: ﴿إنما
المشركون نجس، فلا يقربوا المسجد الحرام﴾، فكيف ينتقل نور
النبوة في الأصلاب التي حكم الله أنها نجسة كنجاسة الخنزير؟؟
ويمضي في تحليله الرائع فيقول: ومما يوجب العجب قول
بعضهم: إن أبوي النبي ماتا على الكفر، وفي الوقت نفسه
يذكرون: أن أمينة كانت تحوطها الملائكة الكرام، وكان يرى نور
النبوة في جبهة عبد الله إلى آخر ما ذكره.. ثم يتساءل فيقول:
فهل المشرك النجس تزفه الملائكة، وتخالطه الأرواح الطاهرة،
ويرى من إرهابات النبوة ما يفيد أنه أقرب المقربين إلى ربه؟؟
ثم يتحدث عن جده عبد المطلب فيقول: انظر ما روي عن
جده عبد المطلب، وهو يضرع إلى الله، ويستغيث به من
أصحاب الغيل حيث يقول:

لاهُم!! إن المرء يمنع رحله، فامنع رحالك

ولا في قوله المتوهج بحرارة الإسلام والإيمان:

يا شاهد الله، عليّ فاشهد
إني على دين النبي أحمد^(١)

ولا في قوله لأخيه الحمزة يوصيه:

فصبراً، أبا يعلى، على دين أحمد
وكن مظهراً للدين، وفقت صابراً^(٢)

وحط من أتى بالحق من عند ربه

بصدق، وعزم، لا تكن، حمز، كافراً

فقد سرتني، إذ قلت: إنك مؤمن

فكن لرسول الله، في الله ناصرًا

وباد قريشاً، بالذي قد أتته

جهاراً، وقل: ما كان أحمد ساحراً

ولا في قوله:

لقد أكرم الله النبي محمداً

فأكرم خلق الله في الناس أحمد

فَشَقُّ لَه مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلَّهُ

فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٍ، وَهَذَا مُحَمَّدُ^(٣)

ولا في قول أبي طالب عندما خطب خديجة لمحمد: الحمد
لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل^(١) ولا في قوله
بعدما تمت الخطوبة: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..
ولا.. ولا.. الخ.

ألا ما أبعد المسافة بين الذهنية المتحررة من تراث الخرافة
والموضوعية الرزينة التي يطلع بهما الجزيري على القاريء،
وبين الحكم المهلهل المدحور الذي يفاجئه به ابن أبي الحديد،
والمتعصبون لمرتزقة معاوية ومن شاكلهم.. ويجب أن لا نغفل
عن ذكر نقطة جوهرية في الموضوع هي: أن حديث الرسول نقلنا
من الأصلاب الطاهرة، إلى الأرحام الزكية يشمل أبا طالب كما
يشمل عبد الله والد محمد رسول الله، لأنهما شقيقان من أب
واحد هو: عبد المطلب، وأم واحدة هي فاطمة بنت عمر
المخزومية، فأبو طالب مؤمن جوهرًا، ومسلم ذاتًا إنه نور، على
نور.

والآن، وقد انتهى بنا المطاف إلى نقطة الختام نتساءل: هل
كنا متحيزين في دراستنا؟؟

على هذا السؤال نجيب فنقول لا، لأننا أشرنا إلى المصادر

= ألم تُرَ أن الله أرسل عبده

بآياته والله أعلى وأمجَد

فَشَقُّ لَه مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلَّهُ

فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٍ، وَهَذَا مُحَمَّدُ

(١) راجع صفحة ١٥، من كتاب أبو طالب عم النبي، لعبد العزيز سيد الأهل.

(١) يملأ ابن أبي الحديد سبع عشرة صفحة من المجلد الثالث من شرح النهج من
صفحة /٤٥٧/ إلى /٤٧٤/ من شعر أبي طالب، وما من قصيدة مما نقله إلا
تظهر إيمان أبي طالب بأجلى بيان.

(٢) أبو يعلى كنية الحمزة.

(٣) وقد ضمن حسان بن ثابت البيت الثاني قال:

الموثوقة التي أخذنا عنها بالدقة التامة، ولأننا نؤمن أن التحيز
الفاسد، لا يحي حقاً، ولا يميت باطلاً .

ونتساءل ثانية فنقول: ماذا أثبتت لنا هذه الدراسة؟؟

قبل الجواب على هذا السؤال نلخص ما مر معنا في كلمات
قلائل فنقول: لقد أثبتت هذه الدراسة ما يأتي:

١ - إن شعر أبي طالب يدل قطعاً على أنه كان مؤمناً بنبوة
محمد، وأنه كان يدعو الناس إلى الإيمان بتلك النبوة، وأنه
لقي في سبيل تربية رسول الله، ونصرته . . . وحماية الإسلام
خلال اثنين وأربعين عاماً أعظم ما يمكن أن يلقي مؤمن في
سبيل عقيدته، وما كان أبو طالب ليتحمل من الآلام ما تحمل
لولا إيمانه الصميم بأن ابن أخيه محمد رسول الله .

٢ - تبين لنا أن الذين وضعوا الأحاديث في تكفير أبي طالب إنما
وضعوها إرضاءً لمعاوية، وطمعاً في خيرات دنياه، وقد
جازاهم على صنيعهم فصب عليهم النعيم صباً كما رأينا .

٣ - وأوضح لنا العقل من النقاش الذي أجريناه حول واضعي
الأحاديث أنهم قد افتروا على رسول الله، وعلى أبي طالب .

٤ - وأبان لنا النقل: أن رسول الله، وأبا بكر، وعلياً، والأئمة من
آل محمد شهدوا لأبي طالب ليس في الإسلام فقط بل
شهدوا أنه من أهل الفردوس الأعلى .

٥ - المسلمون مجمعون على صحة شعر أبي طالب في الرسول،
ونبوة الرسول، ودفاعه عن الإسلام، كما كانوا مجمعين على

إيمانه، قبل أن تسود أمية بشخص معاوية .

بعد هذا، نجيب على السؤال فنقول: إن هذه الدراسة
- على صغرها - أظهرت أبا طالب على حقيقته عملاق الإسلام
الذي لولا إيمانه، وجهاده، وصبره، لما انتصر الإسلام، ولا كان
الإسلام، إلا أن يشاء الله، فصلاة الله وسلامه على أبي طالب
سيد البطحاء، وعملاق الإسلام الخالد .

دراسات في كتاب أبي طالب

ما إن استقرت الطبعة الأولى من كتاب «أبو طالب عملاق الإسلام الخالد» بين أيدي القراء، حتى كتب إلينا كثير من العلماء والأدباء كلمات ضافيات في تقييم الكتاب، نقدمها للقراء عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

جاءنا من سماحة العلامة الدكتور عبد الرسول الأحقافي ما يأتي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أبدع حقايق المكنات من أنوار انوار مشيئته ، واخترع اميان الوجودات من اشعة مظاهر ارادته ، وصوّر وحد والماضيات على هيكل ما اختاره عند امانته دعوته . ثم امض عليهم بما قضى اظهارا لسنة رحمة والاملا تمام نعمته . وعلّمنا الله على غير خلقه واشرف بريته الذي جعل جوهر عبوديته كخا لتمام ربوبيته وخلق ربوبيات عوالم الانوار من اسفل مراتب عبوديته . وعلّمنا الله على حليته الذي علم بعلية وسمى لهم الى ربته ائمة الهدى ومصابيح الدين واعلام النقي وذوى النهي والاولوالعزم وكهف الورى ، الذين جعلهم الله محالّ مشيئته والسنة ارادته ومعادن علمه وحكمته وعمارن سرّ ورسالته وايات معرفته وذنلا شيعته وشريئته الذين كانوا انوارا في الاصلاب الناطقة الموحدة والارحام المطهرة المؤمنة . ولعنة الله على اعدائهم وخالقهم وبغضائهم ومنكرهم ومنكرى فضائلهم ومناقضهم وغاصبي حقوقهم من الان الى يوم الدين .

اما بعد فكم من جناية ارتكبتها ايدى الائمة في تواريخهم باقحام الاركياء وتزكية المجرمين اما خوفاً من سطوة السلاطين او طمعا في دنياهم وكان اول مظلوم في الاسلام قد رُمى بالكفر والشرك رغم ايمانه هو شيخ البطحاء ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، اول المجاهدين في سبيل الله واول الناصرين لدين الله ، وقد اظهر رضوان الله عليه الاسلام واعترف بنموه ابن اخيه محمد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قولاً وفعالاً شعراً ونثراً ما لا يزيد عليه ولم يبق في الاسلام وايمانه عند من تدبروا نصف شك ولا ريب .

وهو ذلك المجاهد الباسل الذي اجتمعت بكل قواه في حفظ النبي الكريم وثبت واستقام في قوله ربّي الله وبذل ما وسع في سبيل دينه العظيم بنفسه واولاده . وقد كاد حب الله ورسوله يتفقر من جوانبه ونواحيه .

فلم ينكر اسلام الامعاء بين الجحيان حيث انفق في وضع الاحاديث الكاذبة

وبعث إلينا الأديب العربي النابه الأستاذ بهجت منصور بالكلمة التالية:

حوادث... ومشاهد... تكشف عن مواقف العزة والرجولة...
عندما ترتفع هذه إلى مستوى البطولة...

حوادث... ومشاهد... ترى من خلالها ثبات وضمود الرجال
الأوفياء في الذود عن الحق... عن الحرية... وعن الأمانة مأخوذ من
بروعة هذه القيم ومدفوعين بحكم الواجب الذي عاهدوا أنفسهم على أن
يُتموه... وإن في إتمام الواجب تجلّى عظمة الإنسان...

حوادث... ومشاهد... ومثّة حوار... وحوار... ينقلها
إليك... ويصوّر هالك... ويحدثك عنها الأستاذ محمد علي أسبر في
كتابه - أبو طالب... عملاق الإسلام الخالد... ويجلو زاوية من
زوايا تاريخ الرسالة النبوية ويزيدك تقديراً للسيد قريش... وإعجاباً بابي
طالب... هذا الذي صمّد وحمى حتى أتم الواجب...

- ٢ -

أربعة عشر قرناً مرت على هذه الحوادث... وعلى هذا الصراع
الذي اندلع بين القبائل العربية التي اختزنت في صدرها حقائق
وخرافات... وآلهة وآلهات... ديناً وثنياً قديماً... وبين أنصار دين
سماوي جديد...

ولكن على أبعاد هذه القرون فإنك تنظر إلى مكة من خلال هذا
الكتاب... فإذا بالقلم المطلق النير يسلط أضواءه على عدد من شيوخ
مكة ورجالها فيسمعك أقوالهم... ويرسم لك مواقفهم... وينقل

وعليه وطى عليها الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام وهدم بناو الأسلام من بيتال
المسلمين ماملأ التاريخ والصاح، وتبعه من تبعه عالماً عاملاً اوجاهلاً غافلاً، واراوا
بذلك اطفاء نورها، وانتم ممتنونه ولو كره الكافرون)

ومن جملة الاكاتب الموضوعه على الطالب رواية سعد بن مسيب في شأن نزول الآية الشريفة
وما كان يلقى والدين انما سمع ان يتخفوا الايمكين... الراجل حيث خروها مؤمن قريش
قال ابن ابي عمير المعتز (هو سعد بن مسيب) من اهل مكة على طائفة من العقالين -
العالمين في المصنفين، الراجل ما قال لا جاء في المعتز وغيره من الكتب.

كيف وذا من ابواب النبوة الرسول الاعظم من قبل الهار نبوته باخذ من جوار الاوصياء
فتمت شهوة، وكان قبل ذلك ايضاً مؤجداً خفيفاً لا يبه عبد المطلب حتى حاتم
وسائر اجداده الوحديين، ولولا انكار اعدا الذين اسلامه واصرارهم في شركه عند الحق و
بعثاً من مصلوله امير المؤمنين عليه السلام لما امتنع لك تاليف الكتب والرسائل ولطبعها و
شرحها في اثبات ايمانها.

هذا وقد اقيمت وصفت في الله فاع من هذا المعلوم كتب قيمة مفصلة ومختصرة ^{حفظ}
حقة للعاسدين وحياراً في سبل رب العالمين فخدمة للهدى والدين.

وكس جاء كتاب (ابو طالب عملاق الإسلام) الذي ألفه المرجع الكبير والعالم الفخير
والشاعر البصير العلامة الأستاذ الشيخ محمد علي اسبر وامتدته لانه مرغوباً مطلوباً،
فدما ناز بياناً للارائة وقابلية اليانعة والسوية المبدع، ونظامه النسخ وادامة
القائمة وبراهينه المساطحة، فجزاه الله عن ابي طالب وايمانه وعن الأسلام
واعوانه خير جزاء الحسنين ووقفه لتاليف امانه وكل ما يحب ويرضى امين
عن محمد والمجاهدين صلوات الله عليهم اجمعين.

والحمد

خادم الشريعة الضمرا -

ميرزا عبد الرسول اللاهق

٦ ربيع الأول ١٣٩٦

٧ مارس ١٩٧٦

إليك آراءهم . . . ويريك مكة ميداناً يُصارع فيه الإيمان بالله محبة . . .
وربهة . . . واطمئناناً روحياً . . . الإيمان بالأوثان . . . تقليداً . . .
ومصلحة . . . وحكم وراثه . . . واستعباد أزمان . . .

هي أزمان تجري . . . وفي تيارها يجري الأحياء . . . وهم قد أنفوا أن
يبدلوا فيما ورثوا . . . وفيما هم عليه سائرون . . . وعن الأفضل والأجمل
غافلون . . . إنهم أسرى القديم . . . وفي القديم قداسة . . . على ما
يزعمون . . .

- ٣ -

وانظر إلى مكة . . . إلى هذا الميدان . . .

هاهي قريش قد وقفت في أحد أطرافه . . . تخوض غماره . . . وإلى
جانبها وقفت قبائل وشيوخ وقد جمحت بها الوثنية . . . وعصفت بها
القبلية . . . واستحكمت بها الثارات الهوجاء والخلافات الدموية . . .
وسطا على الشيوخ ما تأصل في نفوسهم من اليقين اللاهب في الإرث
الوثني والعقيدة العمياء . . . واستولت على بصائرهم المصالح
والأهواء . . .

وانظر . . . فإنك ترى في الطرف الآخر من الميدان . . . أصحاب
النبي العربي الكريم وقد تجمعوا حوله . . . وقد لبوا النداء . . . مأخوذين
بالدعوة الجديدة . . . بآيات الوحي وأقوال السماء . . .

وفي هذه الحوادث القاصفة . . . والأجواء العاصفة . . . التي راحت
تهز الجزيرة العربية ديناً وفكراً وروحاً ونظاماً وتشريعاً . . .

في هذه الأجواء التي راحت فيها الجزيرة تستفيق على خطوات النبوة
الصاعدة . . .

وفي هذا الصراع الذي يصيح فاصلاً بين الأزمان . . . ويشرق بعده
دين جديد من الأديان . . .

وعلى مدى هذا المفترق التاريخي . . . يبرز الحكيم العملاق الذي
اعتاد على تحدي العواصف ورد الغارات . . . وحل انشدائد
والأزمات . . . شيخ الرجولة والمروءات . . . يدافع ويحامي
ويجاهد . . . إنه أبو طالب . . . عملاق الإسلام الخالد . . .

- ٤ -

على مدى التاريخ والعصور كان للفكر والحرية والحق والإيمان رجال
وأنصار يعرفون أن الحياة مواقف عز . . . ويعرفون أن شأن الأمم يكمن
في هذه القيم . . . فكانوا في لهيب المظالم يقفون . . . وعن الفكر
والحرية يدافعون . . . وللحقيقة والحق يشهدون . . . وعلى إيمانهم
يحرصون . . . إيمان يخلق الأمل والثقة في القلوب وينير لها
الدروب . . .

وما أعجب الإيمان . . . هذه القوة الخفية التي تشد العزائم وتستعين
بالعظائم . . .

وقد كان أبو طالب بين العرب واحداً من هؤلاء الرجال الأنصار
المؤمنين والعمالقة الخالدين . . .

- ٥ -

إن هذا الكتاب الذي هدف فيه مؤلفه الكاتب الفاضل الأستاذ محمد

علي أسبر إلى تكريم وتاريخ أبي طالب . . . يدعوننا أن نكرم في سيد قريش موقفه من الرسالة النبوية الجديدة ومن حرية الفكر والعقيدة . . . ولا بد لنا ونحن في هذا المجال من أن نكرم أبا طالب في ذكرابه الإمام علي لكي يعقب هذا التكريم بالتد والطيب والبخور . . .

إن الإمام علي وهو واحد من كبار هذا الشرق . . . والشرق لا يزال يفوق على تعاليم الأديان التي اطلعها وأنار بها العالم . . . إن هذا الإمام الأكبر قد خلع على أبيه . . . وعلى العرب . . . وعلى الشرق وهجاً مديد الأبعاد . . . وعديد الألوان . . . وهجاً تألق ولا يزال يتألق . . . وفجر ينبوعاً فكرياً تدفق ولا يزال يتدفق . . . وأطلق تلك الموجات الروحية . . . وكان صوته صوت العدالة الإنسانية . . . أن هذا الإمام يبقى على مدى الأزمان مثلاً لسمو الفكر وصفاء الوجدان .

طرطوس - بهجت مخائيل منصور

وكتب الأستاذ علي البهادلي في العدد /٧٠٢/ ص /٥٠/ من صوت الخليج الكويتية تحت عنوان: إسلاميات: «صدر حديثاً عن مطابع صوت الخليج كتاب بعنوان: «أبو طالب عملاق الإسلام الخالد» لمؤلفه الأستاذ: محمد علي أسبر - من سوريا .

وتأتي أهمية هذا الكتاب من أهمية الموضوع الذي يتناوله بموضوعية وعمق، إذا ما علمنا قلة من كتب في هذا الموضوع بهذا الشمول والاتساع . . .

ثم يقول: «يبدأ الأستاذ أسبر كتابه بالتعريف بأبي طالب، تحت عنوان: من هو أبو طالب؟؟ فيذكر نسبه والمكان الذي ولد فيه، ومن ثم يتعرض لمسألة مهمة في التاريخ الإسلامي ألا وهي: إسلام أبي طالب، فيأتي بالأدلة العقلية والنقلية التي تؤكد أن أبا طالب مات مسلماً» .

ثم ينقل فقرة طويلة من الكتاب عن عبد المطلب والد أبي طالب ودعائه المستجاب . . .

ويذكر بعد ذلك وقوف أبي طالب إلى جنب الرسول وحمائه له من سيوف طواغيت قريش . . .

وينقل من الكتاب عبارات عن مرتزقة معاوية، وإسلام المغيرة . . . ووضع أبي هريرة أمام محكمة العقل، وأخيراً يقول:

«وبعد فهذا استعراض سريع لكتاب «أبو طالب عملاق الإسلام الخالد»، وهو كتاب قيمٌ جديرٌ بالاعتناء والمطالعة» .

«تمنياتنا لمؤلفه الأستاذ الفاضل محمد علي أسبر بالتوفيق والنجاح في محاولاتٍ أخرى، وكتاباتٍ جديدة تزيده من رونق المكتبة الإسلامية».

* * *

وكتب إلينا الأستاذ عابد ديب العلي - نجل الشيخ ديب «الدقار»:

«اكتبُ تَبَاعاً يَا مُحَمَّدُ
فَلَأَنْتَ بَيْنَ النَّاسِ فَرَقْدُ
يَا صَاحِبَ الدِّينِ القَوِ
يَم - وَسَلِّكَ النُّهْجَ الممَّجْدُ
قَسْمُ حَيَاتِكَ فِي الكِتَابِ
بِيَّةً، وَالهِدَايَةَ، وَالتَّعْبُدُ
لِتَفُوزَ فِي بَرْدِ اليَقِينِ
، وَبَعْدَهُ، تَسْمُو لِأَبْرَدِ»

ثم يقول: «أحبُّ لك أيها الطاهر المؤمن أن تُكْرَسَ ما عندك من الوقت، وما لديك من إمكانيات في الكتابة عن رجال الإسلام الخالدين أمثال: أبي طالب، وأبي ذر، والمقداد، والأشتر النخعي، وعمار بن ياسر، و... و... و...».

«إنك تكسب بجهادك هذا رضى الله، وتفوز بذلك فوزاً عظيماً، وتخلد بجوارهم في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين» اهـ.

* * *

ووافانا الشيخ علي الخطيب برسالة طويلة استهلها بعد البسمة
بقوله:

الحمد لله هادي المهتدين، ومنير قلوب المؤمنين، وصلى الله
على محمد وآله أعلام الهدى، ومصايح الدجى، والعروة
الوثقى.

ثم يتحدث عن مكانة أهل البيت في كتاب الله... وعن
علومهم... وأخلاقهم... وأفضالهم...

وأنهم شجرة النبوة المباركة، وينتهي إلى الكلام عن عم رسول
الله / أبو طالب /، وعن جهاده المر في سبيل الوحي الإلهي...

ثم يتصدى للأحاديث المفتراة التي وُضعت في موت أبي
طالب على الكفر...

ثم يقول: «وهذا ما أهاب بفضيلة الكاتب الأديب، العالم
الليبي، المجتهد، السيد محمد علي أسبر على تأليف هذا السفر
القيّم نُصرةً للحق، وقَطْعاً للباطل...».

«نعم ذلك ما دعاه لأن يكتب، فتشرق العدالة بنور كتابته
إشراق الكون بنور الشمس، وتأخذ العبقرية مجراها على لسانه
وقلمه نبعاً فياضاً ذاخراً بالحقائق...».

ثم يقول: «تناولتُ هذا الكتاب القيمَ أولاً كَتَسْلِيَةٍ، ظنّاً أنه
كتابٌ عاديٌّ، وَقَرَأْتُ بَعْضَ صفحاته، متأملاً جملة وما تضمنته من
معاني وأصول، فإذا به ضربٌ من السحر جذبني نحوه بشدة هائلة

كجاذب مغناطيسي، حتى خلت أنه سحر بيانه - بأحقيقته
بصدقه».

«أجل إنه السحر الحلال، وإن من البيان لسحراً».

«وحقاً إنه كتاب صغير الحجم، ولكنه كبير القيمة، خصب
الفائدة، قويُّ الحجّة، إنه دراسةٌ شاملةٌ لزمان سيد البطحاء...».

«كل هذا يدل على سعة اطلاع الكاتب، وإن كتابه جديرٌ أن
يكتب بماء الذهب، ويُصان في سويداء القلب، وإني أنصح كل
من غايته الحق والصدق أن يقتني نسخة من هذا الكتاب».

ويختم رسالته بقوله: «يا أخي الكريم!! أجل الله ثوابك،
وجزاك عن الإسلام ونصرته، وسيد البطحاء خير جزاء.. وهنيئاً
لك بما وُفِّقَت إليه في العاجلة، وما عند الله خير وأبقى».

وأرسل إلينا الشيخ علي أحمد كُتُوب قصيدةً من خمسة وخمسين بيتاً، ابتدأها بقوله:

لَهُ ذَرَكٌ يَا مُحَمَّدٌ
والممرءُ للمعروفِ يُحَمَدُ
ناضلت عن شيخ الأبا
طح، ليثها، العلم المُسَوَّدُ
ولديك بُزْهَانٌ عَظِيمٌ...
إنه شَمْسٌ تَوَقَّدُ

وبعدما يذكر أبا طالب وكفالته للرسول... وذوده عنه...
وفناه في ذات الرسالة السماوية... يقول:

كَفَلَ الْيَتِيمَ فَلَمْ يُضِعْهُ -
وَنَفْسَهُ بِالذُّودِ أَجْهَدُ

ثم يقول:

مرحى ابن أسبر من أديب،
قوسه، والسُّهُمُ سَدَّدُ
الكاتبُ اللُّسِينُ الأريبُ
الibasل، العلوي، محمد
سَبَرَ الحقيقَةَ جاهداً
كالجد أسبر، عنه هَذَمَدُ
وبنى كما تروي المصادِرُ -
سِفْرَهُ عنها، وَشَيْدُ

وَأَصَابَ لَمْ تُخْطِئْ رَوَايَتُهُ -

وللأوهام
لله ما أبهى، وما أشهى -
وما أحلى، وأجود
وَأَلْذُ أَنْ: كَشَفَ الغِطَاءَ -

فلاح عبد مناف فرقد
ضَحَى بما ضَحَى لوجه
الله... والعقباتِ مَهْدُ
في نصره التاريخ، والعملاق،
عملاقاً
تَفَرَّدُ
فَلَكُ التُّحَايَا ما تَغِيْبُ -

من المشوق: علي أحمد

وأرسل إلينا قصيدة ثانية من حوالي ستين بيتاً جاء فيها عن
كتاب // أبو طالب عملاق الإسلام الخالد //:

سِفْرَكُم يَا أَخِي قرأتُ بقلبي
بِتَرَوُّ - مَرْحَى لَكُمْ - ولساني
فبكت مُقلتي، وَسَخَّ يراعي
وعراني من الجوى ما عراني
بارك الله في جهادك في الدُّ
جِه - جهاداً يُنْجِي مِنَ النُّيرَانِ

فإلى الإخوة الذين كتبوا لنا عن كتاب / أبو طالب / ممن أخذنا
نتفأ من أقوالهم وممن لم نأخذ تحية حب مُنْضَرَّةً بالتقدير، معطرة
بالاحترام.

المصادر

- ١ - بولس سلامة: ملحمة الغدير.
- ٢ - خير الدين الزركلي: الأعلام - المجلد الرابع.
- ٣ - الشيخ سليمان القندوزي: ينابيع المودة - الجزء الأول.
- ٤ - أبو منصور الطبرسي: الاحتجاج - الجزء الثاني.
- ٥ - دار المشرق: منجد الأعلام.
- ٦ - ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج - المجلد الثالث والرابع والأول.
- ٧ - أحمد زيني دحلان: أسنى المطالب.
- ٨ - القسطلاني: إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري - الجزء الثاني.
- ٩ - الشيخ محمد عبده: شرح نهج البلاغة - الجزء الثاني.
- ١٠ - الزبيدي: تاج العروس.
- ١١ - عبد العزيز سيد الأهل: أبو طالب عم النبي.
- ١٢ - خالد محمد خالد: في رحاب علي.
- ١٣ - رشيد رضا: مجلة المنار - المجلد الثاني عشر.
- ١٤ - الإمام مسلم: صحيح مسلم - الجزء الأول، والجزء التاسع.
- ١٥ - ابن حجر: الإصابة في التمييز بين الصحابة - الجزء الثاني والسابع.

- ٣٨ - القاضي عيَّاض: الشفاء - الجزء الثاني .
- ٣٩ - ابن تيمية: الفتاوى - المجلد الثاني .
- ٤٠ - إسماعيل حقي: روح البيان في تفسير القرآن .
- ٤١ - الماوردي: أعلام النبوة .
- ٤٢ - السيوطي: شواهد المغني .
- ٤٣ - ابن الأثير: أسد الغابة - الجزء الثالث والرابع .
- ٤٤ - عبد الرحمن الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة - المجلد الرابع .
- ٤٥ - محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده .
- ٤٦ - بروكلمان المستشرق الألماني: تاريخ الشعوب الإسلامية .
- ٤٧ - الشبلخي الشافعي: نور الأبصار .
- ٤٨ - السيوطي: النقول في أسباب النزول .
- ٤٩ - محمود الشرقاوي: عليُّ إمام المتقين - الجزآن الأول والثاني .
- ٥٠ - ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير - الجزء الأول .
- ٥١ - ابن منظور: لسان العرب .
- ٥٢ - الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن الجزآن: السابع والثامن .
- ٥٣ - وزارة الأعلام الكويتية: عالم الفكر - المجلد الثاني عشر .
- ٥٤ - المقرئزي: خطط المقرئزي - الجزء الثاني .
- ٥٥ - وزارة التربية - دمشق: تاريخ العرب والإسلامي . ط، ١٩٧٥ .
- ٥٦ - تاريخ أبي الفداء: تاريخ أبي الفداء - الجزء الثاني .
- ٥٧ - الدنيوري: المعارف .
- ٥٨ - الجليلين: تفسير القرآن .
- ٥٩ - المسعودي: مروج الذهب - الجزء الثاني .
- ٦٠ - ابن عبد ربه: العقد الفريد، الأجزاء: الأول، والثالث، والخامس .

- ١٦ - ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب - الجزء الثالث - بهامش الإصابة .
- ١٧ - ابن حجر الهيثمي: الصواعق المحرقة .
- ١٨ - أبو بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء .
- ١٩ - أحمد رضا المصري: الإمام علي بن أبي طالب .
- ٢٠ - الشيخ الأميني: الغدير - المجلد الأول .
- ٢١ - جورج جرداق: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية - الجزء الأول .
- ٢٢ - الحافظ الحسكاني: شواهد التنزيل - الجزء الأول .
- ٢٣ - ابن ماجه: السنن - الجزء الأول .
- ٢٤ - الحاكم النيسابوري: المستدرک - الجزء الثالث .
- ٢٥ - محب الدين الطبري: ذخائر العقبى .
- ٢٦ - محمد أبو زهرة: الإمام جعفر الصادق .
- ٢٧ - ابن الأثير الجزيري: الكامل في التاريخ - الجزء الثالث .
- ٢٨ - الإمام البخاري: صحيح البخاري - الجزء السادس، والتاسع، والرابع، والثالث .
- ٢٩ - الثعالبي: اللطائف .
- ٣٠ - عبد الرحمن عبد الخالق: الشورى في الإسلام .
- ٣١ - محمود أبو رية: شيخ المضيرة .
- ٣٢ - مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب - الجزء الأول .
- ٣٣ - العماد الحنبلي: الشذراب .
- ٣٤ - ابن عبد البر: جامع بيان العلم .
- ٣٥ - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية - الجزء الأول والثاني .
- ٣٦ - أحمد أمين: فجر الإسلام .
- ٣٧ - هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرآن .

الفهرس

- ٥ أبو طالب يشهد الله على إسلامه
- ٧ قالوا في أبي طالب
- ٩ أبو طالب - نسبه - ولادته - نشأته
- ١٠ زوجته - أولاده - صفاته - مكانته الاجتماعية
- ١١ مآثر أبي طالب
- ١٣ وصية عبد المطلب لأبي طالب
- ١٥ أبو طالب ومحمد في كفالته
- ١٨ محمد في رحلة تجارية
- ٢٣ محمد يخطب خديجة - خطبة أبي طالب
- ٢٥ علي بن أبي طالب ومحمد
- ٢٦ محمد وإرهاصات الوحي
- ٢٨ محمد وقريش
- ٣١ قريش وأبو طالب
- ٤٣ دفاع أبي طالب عن الرسول
- ٥١ شعر أبي طالب في الدعوة للإيمان بنبو محمد
- ٥٣ إسلام عثمان بن مظعون
- ٥٥ إسلام ابن عبيد الأسدي المخزومي
- ٥٧ الهجرة إلى الحبشة

- ٦١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، الجزآن: الأول والرابع.
- ٦٢ - وزارة الأوقاف السورية في دمشق: مجلة نهج الإسلام - السنة السادسة (العدد ٢٢) تشرين الثاني ١٩٨٥.
- ٦٣ - الثعالبي: لطائف المعارف.

١٣٦	خَطَلُ مزاعمهم
١٣٩	أمام محكمة العقل
١٤٥	معاوية يكافىء واضعي الأحاديث - مقارنة خاطفة
١٤٧	صحابيان في مختبر الإسلام
١٤٩	وقفه مع ابن أبي الحديد
١٥١	هؤلاء وعلى رأسهم رسول الله أثبتوا إسلام أبي طالب
١٥٧	مفتي الشافعية في مكة يقول
١٥٨	والإمام الموصلي الحنفي يقول
١٥٩	ومع ابن أبي الحديد ثانياً
١٦١	الجزيري وآباء الرسول
١٦١	الجزيري وعبد المطلب
١٦٢	أبو طالب المسلم الموحد
١٦٣	هذه الدراسة
١٦٧	دراسات في كتاب أبي طالب
١٨٣	المصادر
١٨٧	الفهرس

٥٨	وفد قريش إلى ملك الحبشة
٥٩	عمرو بن العاص وابنته
٦٠	جعفر بن أبي طالب والنجاشي وعمرو بن العاص
٦٤	قصيدة من أبي طالب للنجاشي
٦٧	أبو جهل والرسول
٧٥	مقاطعة قريش للهاشميين
٨١	نتائج المقاطعة
٨٦	هجرة أبي طالب مع ابن أخيه إلى الشعب
٩٧	الأرضة تَأْكُلُ الصحيفة - صحيفة المقاطعة
٩٩	انتهاء المقاطعة وتمزيق الصحيفة
١٠٣	رجوع الهاشميين إلى مساكنهم
١٠٤	أول انتصار للرسالة المحمدية
١٠٦	وفاة أبي طالب
١٠٨	وصية أبي طالب
١١٠	الرسول يرثي عمه أبا طالب
١١١	مرتزة معاوية يتهمون أبا طالب إرضاء لمعاوية
١١٦	وضع الأحاديث
١١٩	أصحاب الصحاح
١٢٠	النقد العلمي - نتائج النقد العلمي
١٢١	أبو طالب مسلم مؤمن
١٢٢	صحابه أحدثوا بعد الرسول
١٢٣	إسلام المغيرة بن شعبة وخلقه
١٢٩	أبو هريرة ونفسه
١٣١	أبو هريرة يُكذِّبُ نفسه ويكذبه عائشة وعمر وعلي و...
١٣٣	خُلِقَ جاهلي
١٣٤	آيات قرآنية زعموا أنها نزلت في أبي طالب



من أعمال المؤلف

- ١ . ابو طالب عملاق الاسلام ، طبعة ثانية دار الاصلية بيروت
- ٢ . حياتنا وتعاليمنا // // //
- ٣ . هل قرأت ابا نر ، طبعة ثانية // // //
- ٤ . المقداد بن الاسود الكندي // // //
- ٥ . اجداد رسول الله : قصي - هاشم - وعبد المطلب // // //
- ٦ . بطلا العقيدة والجهاد : حمزة بن عبد المطلب وجعفر الطيار // // //
- ٧ . للعلامة الجليل احمد بن زين الدين الاحسائي
في دائرة الضوء، جزان // // //
- ٨ . الإمام علي في القرآن والسنة (مجلدان) // // //
- ٩ . سلمان المحمدي تحت الطبع .
- ١٠ . دراسات عن الإمامين : علي زين العابدين وعلي الرضا // //
- ١١ . من عبير الاسلام ، جزان // //
- ١٢ . اهل بيت رسول الله في دراسة حديثة .
- ١٣ . سلمان منا اهل البيت
.....
- ١٤ . الإمام جعفر بن محمد الصادق
.....

شارك المؤلف في تحرير المجلات التالية

- ١ . لعرقان صيدا - بيروت .
- ٢ . البيان النجف الاشرف .
- ٣ . النهضة طرطوس .
- ٤ . مجلة المعلم العربي دمشق .
- ٥ . // // التمدن الاسلامي
- ٦ . // // نهج الاسلام ، تصدرها وزارة الاوقاف
- ٧ . // // الثقافة الاسلامية
- ٨ . // // الاسبوعية
- ٩ . جريدة صوت الحق اللاذقية .
- ١٠ . // // الخبر
- ١١ . // // الارشاد



... إنه شاعر الإسلام الأول؛ غناه بولس سلامة على ضفاف غديره:

يا أبا طالب! فدتك السجايا من مُجِيرِ سَمَحِ الْجِنَانِ نَصُورِ
يُوَئِزُّ الطُّفْلَ بِالطَّمَامِ سَخِيًّا وَيُدْفِئُ مِنَ الْفَرَاشِ الْوَشِيرِ
أجل إنه أبو طالب «عبد مناف» بن عبد المطلب، البطل الشجاع،
المؤمن برسالة نبيه:

أنت النبيُّ مُحَمَّدُ قَرْمٌ أَعَزُّ مُسَوِّدُ
مَا زَلَّتْ تَنْطِقَ بِالصَّوَابِ وَأَنْتَ طِفْلٌ أَسْوَدُ
وإنه سيد بني هاشم وحكيمهم، وشمسهم التي أشرقت على دنياهم جبا
وكرماً وعطاءً، بل إنه رمز تضحياتهم وبطولاتهم وانتصاراتهم...

أن يقف المرء أمام هذه اللوحة الملونة بالإيمان والعظمة والكبرياء، وقفة
التأمل... أن يسير بعمق ظلال المعرفة والحقائق، ليعانق الجمال،
ويستحم بنور المعرفة، أن يقف عند منعطف هام من منعطفات التاريخ
الإسلامي، وحقائقه الأزلية، لتظهر الصورة جلية، وتشرق الحقيقة طريقها
إلى صدور المؤمنين، أن يسطع فجر الإسلام من جديد على عصر المادة
والاتجار بالقيم الإنسانية النبيلة، فيغسل بتعاليمه السمحة عقول الناس
ونفوسهم، و«أيدولوجية» واقمهم المرير؛ عند ذلك تكون قد تبلورت تلك
القيم العملاقة في الدين والمجتمع والأمة.

كان أبو طالب خطيباً وشاعراً، وكان مؤمناً وتقياً ورعاً، وهو مع كل
ذلك، عم الرسول الأعظم، وكافله، ومربيه، وناصره في نشر دين الله،
والذائد عنه بصبر وإيمان وعناد...

لقد قرأ الأستاذ محمد علي اسبر صاحبه أبا طالب قراءة عقلانية
واستقرائية محصنة، اثر تجواله في حقول الأدباء والعلماء والمفكرين مطلقاً
على ما أوردوا عن أبي طالب من حقائق وجماليات، وما سجلوه للمعاني،
من لمحات مشرقة، تتسم بالتدقيق، والموضوعية، والإيمان.

ولعل القارئ المجتهد يكشف بجهده وتفكيره الواعي العميق شاعر
الإسلام وإبائه وعظمتهم، فيتسابق مع مشاعره ورغباته إلى بيادر اسبر ليستقي
منها المعرفة والنور والجمال.